الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة يحيى فارس –المدية–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

صورة المرأة في رواية أين المفر
للكاتبة خولة حمدي

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبة: دحماني كوثر **إشراف أ.د: سرير مُحَمَّد**

الاسم واللقب	الصفة	الجامعة
د. عبد القادر واكد	رئيساً	يحيى فارس
أ.د سرير مُحَمَّد	مشرفاً	يحيى فارس
د. زليخة حنطابلي	مناقشاً	يحيى فارس

السنة الجامعية: 1444-1443هـ/2023-2022م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

شكر وعرفان

أشكر الله سبحانه وتعالى على فضله وتوفيقه لي، والقائل في محكم تنزيل ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (إبراهيم:7)،

أتقدم بخالص شكري وفائق احتراماتي إلى أستاذي الفاضل "**الدكتور محمد سرير**" الذي تفضل بقبول الإشراف على هذا البحث،

ولم يبخل عليَّ بنصائحه المثمرة وتوجيهاته وملاحظاته العلمية القيمة،

كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى الأساتذة أعضاء اللجنة الموقرة

الذين نلت شرف اطلاعهم على مذكرتي المتواضعة،

والشكر الموصول لكل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي بجامعة الدكتور يحيى فارس

-المدية-

ولكل من زودني بكتاب أو أرشدني إليه جزاهم الله ألف خير.

اهداء

الحمد لله وكفى، والصلاة على الحبيب المصطفى، وأهله من وفى، أما بعد:

الحمد لله الذي ما تم جهد ولا ختم سعى إلا بفضله، وما تخطيت هذه العقبات والصعوبات إلا بتوفيقه، الحمد لله الذي وفقني لتثمين هذه الخطوة في مسيرتي الدراسية بمذكرتي هذه ثمرة الجهد والنجاح بفضله تعالى،

أهدي هذا العمل المتواضع إلى من قال الحق تعالى فيهما ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار، إلى من كان لي عونًا في مشواري الدراسي ولا يزال، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار، أطال الله في عمره – أبي الغالي –

إلى نبض فؤادي، ونبض أفراحي، إلى من أفضلها على نفسي، حبيبتي الغالية أطال لها في عمرها وأدامها لنا – أمي الحبيبة–

إلى من قال فيه عز وجل ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾، إخوتي واخواتي

إلى كل من علمني حرفا منذ بداية مسيرتي الدراسية،

إلى كل من كان له فضلٌ علي ولو بكلمة أو نصيحة،

إلى الذين أناروا لنا طريق العلم ونهلنا منهم العلم الأخلاق والمعرفة

–دكاترتي وأساتذتي الأفاضل–

وإلى كل من كان له الفضل في مساندتي سرا وعلانية بالحس والمشاعر وبالقول والفعل.



مقدمه

فإن من أعظم ما اشتغل به البشر من القضايا الاجتماعية منذ القدم هي قضية المرأة، وكانت الشغل الشاغل لكثر من العرب والعجم وعملوا على تأليف المؤلفات حولها، وكانت محورا رئيسا في الكثير من الأدبيات، وكانت أيضا هدفا رئيسا للمستشرقين ليحاربوا بها الإسلام، وقد تخبط البشر في معالجتها لأنهم كانوا بمعزل عن شرع الله القويم، فلقد أوصى الله في القرآن بالنساء، وأنزل الآيات والأحكام، فكان إعجازاً يلبي حاجة المرأة، ويحافظ على حقوقها، ويحاسب كل من يؤذيها أو يتعدى عليها، والله سبحانه خلق المرأة وهو أعلم بما يتناسب مع فطرتها من التشريعات والأحكام التي تصلح للتطبيق في كل زمان ومكان.

وتعد الرواية من أشهر الأجناس الأدبية في العصر الحالي، إذ أنها تعبر عن الواقع وعن قضايا المجتمع المختلفة، وعن واقع الإنسان ومشاكله، وقد أحدثت ثورة في الساحة الأدبية والثقافية ولو كان الأمر متأخرا بعض الشيء بسبب الاستعمار الفرنسي الذي كانت تعاني منه تونس والجزائر، حيث أضفت عنصر الإثارة والتشويق الذي كان غائبا عن بقية الأجناس الأدبية، ولقد نالت المرأة مكانة كبيرة في الرواية، وازداد الاهتمام بالبحوث والدراسات الأدبية المتعلقة بالمرأة، وكان الأمر في بدايته مقتصرا على الرجال، إلا أن الأمر قد تغير بعد تطور الرواية ودخول المرأة في المجال الأدبي وأصبحت تنافس الرجال في هذا المجال بل وقد أبدعت فيه.

ومن هنا جاء عنوان بحثنا "**صورة المرأة التونسية في رواية أين المفر**" للكاتبة **خولة حمدي**، لأن المرأة عند الكاتبة قد حظيت بجل اهتمامها في كتاباتها، فجعلت المرأة هي الشخصية الرئيسية أو المحورية التي تدور حولها أحداث الرواية.

ولقد كان لموضوع المرأة أهمية كبيرة لدى العديد من النقاد والأدباء، فقد تم تناولها في العديد من كتاباتهم نذكر منها:" صورة المرأة وتمثلاتها في الرواية القطرية".

وأما الهدف من وراء هذه الدراسة هو:

- الرغبة في إبراز أهمية صورة المرأة التونسية في الرواية.
- تحديد الصورة التي اعتمدتها الروائية في رسم المرأة التونسية.

ويعود اختياري لهذا الموضوع لأسباب ذاتية وأخرى موضوعية:

- **أما الذاتية:** فتعود لحبي وشغفي اللامتناهي بكتابات "خولة حمدي".
- وكذلك كون الرواية لم تدرس من قبل حسب علمي.
- وأما **الاسباب الموضوعية:** راجعة لاهتمامي بموضوع أهمية المرأة في الحياة الإجتماعية
- أيضا إبراز صورتها من خلال هذا العمل الأدبي.

ولإنجاز أي بحث علمي لابد من طرح بعض التساؤلات والإشكاليات والتي تمثلت فيما يلي:

- ما مفهوم الرواية ؟ وكيف تجلت صورة المرأة في رواية أين المفر؟ و ما هي أهمية المرأة في رواية التونسية ؟

ومن أجل الإجابة على هذه التساؤلات اعتمدت خطة البحث المتمثلة في:

مدخل: وفيه تكلمت عن مفهوم الرواية العربية، ومفهوم الرواية التونسية، ومراحل ظهورها، وصورة المرأة في الرواية التونسية، وأيضا صورة المرأة في روايات خولة حمدي.

والفصل الأول: كان عنوانه صورة المرأة في المجتمع، وقسمته إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: تناولت فيه صورة المرأة في نظام الأسري، والقسم الثاني صورة المرأة والصداقة، وأما القسم الثالث صورة المرأة والعمل.

أما الفصل الثاني: كان موسوما بصورة المرأة التونسية في الثقافة والدين، وقد قُسِّم هو الآخر إلى ثلاثة أقسام، ففي الأول: صورة المرأة في التعليم، والثاني: صورة المرأة في الدين، والثالث: صورة المرأة في الثورة.

وخاتمة وفيها تكلمت عن بعض النتائج التي خلصت إليها.

ملحق: تضمن التعريف بحياة الكاتبة خولة حمدي وأهم أعمالها، وملخص رواية أين المفر؟.

وأخيرا ملخص لعملي باللغتين العربية والإنجليزية.

أما بالنسبة للمنهج فقد حاولت الالتزام بالمنهج الوصفي التحليلي كونه الأمثل في الجانب التطبيقي للدراسة في وصف وتتبع حال المرأة في رواية، والمنهج التاريخي من أجل معرفة ظهور الرواية العربية والتونسية.

أما بالنسبة للدراسات السابقة، كان هناك دراسات سبقت حول موضوع صورة المرأة من بينهما:

- صورة المرأة في رواية "الملكة" لأمين الزاوي، إلا أنه لم يكن هناك أي دراسة حول رواية "أين المفر".

وقد تم الاستعانة في هذا البحث بمجموعة من المصادر والمراجع من أجل استنباط المادة العلمية لمحتوى هذه الدراسة، من أهمها:

- صالح مفقودة في كتابه المرأة في الرواية الجزائرية.
- كتاب المرأة واللغة لعبد الله الغذامي.
- محمد مسياعي، صورة المرأة في روايات إحسان عبد القدوس.

وقد أسهمت هذه المراجع في إنارة طريق هذا البحث.

وكأي بحث علمي لا يخلو من الصعوبات والعراقيل من بينهما:

- صعوبة إيجاد المصادر ومراجع تخص موضوع بحثي.
- ضيق الوقت بين البحث عن المادة والعلمية وبين الجمع والترتيب والتصنيف.

وفي الأخير أتقدم بالشكر والامتنان للأستاذ "**محمد سرير**" على ما قدمه لي من نصائح وتوجيهات.

المدخل:

دراسة نظرية للموضوع

1- **المطلب الأول:** مفهوم الرواية العربية

2- **المطلب الثاني:** مفهوم الرواية التونسية

3- **المطلب الثالث:** صورة المرأة التونسية في الرواية

4- **المطلب الرابع:** صورة المرأة على روايات خولة حمدي

تعتبر الرواية شكلا من أشكال الفنون الأدبية النثرية وأحسنها جمالا، والأحدث في الشكل والمضمون، كما ولها تأثير في المجتمع، والتي عمل الباحثون على دراستها وتوضيح معانيها.

المطلب الأول: مفهوم الرواية العربية

يرى بعض الدارسين أن الرواية لها جذور وأصول في الأدب العربي الذي عرف هذا الفن ممثلا في بعض ما جاء مبثوثا في كتب الجاحظ وابن المقفع، ومقامات بديع الزمان الهمذاني والحريري.

وعلى العكس من ذلك يرى بعض الدارسين على خلاف زملائهم أن الرواية فن مستورد، ومن هؤلاء اسماعيل بن أدهم الذي يفسر الأدب القصصي في القرن العشرين منقطعا عن الأدب العربي في بنيته التاريخية، ويراه شيئا جديدا أوجده الاتصال بالغرب، وإلى مثل هذه الآراء يذهب الأديب الجزائري الطاهر وطار الذي يبدوا أقل قطيعة للرواية عن التراث العربي، حيث يقول:" والرواية بالأصل فن لا نقول دخيل على اللغة العربية، وإنما فن جديد في الأدب العربي اكتشفه العرب فتبنوه مثلما اكتشفوا في بدء نهضتهم المنطق فتبنوه والفلسفة فتبنوها"[1].

اختلف بعض النقاد والباحثين في أصول وساعة ظهور الرواية العربية، فإسماعيل بن أدهم يرى أن الرواية العربية ما ظهرت إلا حينما اتصل العرب بآداب الغرب، وهو يفسر الأدب القصصي في القرن العشرين منقطعا عن الأدب العربي في بنيته التاريخية، ويراه شيئا جديدا أوجده الاتصال بالغرب.

لقد تغيرت كثيرا وسائط التواصل العربي ووسائله من الشفاهي إلى الكتابي، ومن الطباعي إلى الرِّقامي، وفي كل مرحلة من مراحل التغير هذه كانت العربية والسرد العربي يتغيران بما يمدهما به هذا الوسيط أو تلك الوسيلة من إمكانيات جديدة، فتتغير اللغة ويتبدل

1 أبحاث في الرواية العربية، صالح مفقودة، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص11.

السرد مستجيبا لآليات تحول الوسائط التي كان يتفاعل معها، وتتبدل ملامحه وسماته، وإن كان يظل محافظا على بعضها مما يتصل بطبيعة المجتمع والثقافة، تبعا لدرجة تفاعل المجتمع مع هذه الوسائط ونوعية تأثيرها في نبط حياته[1].

ويقول الدكتور محمد الباردي:" نحن نعتقد أن الرواية العربية الناشئة أُخذت عن الحكاية الشعبية بنيتها السردية، قد يري البعض أن بنية الخرافة أو الحكاية الشعبية واحدة، وقد يكون هذا الأمر صحيحا، لكن الثقافة العربية لها صداها العام من هذه الحكايات والخرافات الشفوية التي تتناقلها الأجيال عن التاريخ الطويل، ولا شك أن كتَّاب الرواية أخذوا عن هذه الحكايات روحها وبنيتها العامة"[2].

وأما الدكتور البارودي فيرى أن الرواية العربية الناشئة أُخذت عن الحكاية الشعبية بنيتها السردية، وأن البعض يرى أن بنية الخرافة أو الحكاية الشعبية واحدة.

ويعد ظهور وتطور الفن الروائي في أدبنا العربي لاتصالنا بآداب الغرب، وهنا اختلاف طرق وأساليب عيش قديمة مما أدى هذا الاختلاف إلى اختفاء بعض الأجناس الأدبية، منها المقامة والشعر العمودي وأساليب الكتابة القديمة، ومعالم ظهور المعالم الجديد ,وظهرت القصة القصيرة والسينما والرواية.

وقد أخذت الرواية أبعادًا متشابكة في نشأتها وتطورها عبر مختلف الأمكنة والأزمنة، ويتفق معظم النقاد والباحثين على كون تاريخ 1912 م هو تاريخ ميلاد أول رواية عربية وهي رواية" زينب "لمحمد حسين هيكل وقد نشرها وهو متواجد في فرنسا، كما تعد هي النواة الرئيسية للرواية الاجتماعية العربية، فنجد حسين هيكل "في مجال الربط بين الشعور القومي

---

1 قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود، سعيد يقطين، دار الإيمان، الرباط، الطبعة الأولى، 1433هـ-2012م، ص25.

2 في نظرية العامة، محمد الباردي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 2002م، ص127-128/ من أصل نشوء الرواية العربية، إيمان عباد، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، كلية الآداب واللغات، ص13.

وظهور الرواية العربية... هو من أوائل من عبَّروا تعبيرًا واضحًا عن الشخصية المصرية، أي أنه عبر عن الوجدان القومي .. يهدف إلى تمجيد مصر والتغني بها"[1].

ويذكر الدكتور محسن جاسم الموسوي أن الرواية قد نشأت مع حركة المجتمع المدني، أي أنها ظهرت حديثا عكس الشعر الذي رافق نشأة المجتمع القديم "الذي يتداخل فيه التخلف والظلم بحالة عامة من السكون الرتيب الذي يقتل الذهن ويحول دون نبوغه"[2].

ويرى الدكتور الموسوي أن الرواية قد نشأت حديثا مع حركة المجتمع المدني، عكس حركة الشعر، وعكس سالفيه أمثال اسماعيل بن أدهم والبارودي.

وقد كان طه حسين لديه عدة أعمال بارزة في نشأة الرواية العربية "لا يمثل كتاب الأيام المحاولة الوحيدة التي ساهم بها الدكتور طه حسين في ميدان الرواية في فترة ما بين الحربين، فقد قدم لنا المؤلف في نفس الفترة المحاولة الثانية في كتابه أديب ليكون حلقة الاتصال التي تربط بين أجزاء الأيام الثلاثة"، وكذا نجد نجيب محفوظ التي ساهمت رواياته مساهمة رهيبة في تنوعها وتميزها "وعلى امتداد نصف قرن بما يزيد عن ثلاثين عمل روائي له أنجزه، أنجز نجيب محفوظ عن ثلاثين عمل روائي له، أنجز نجيب محفوظ أكبر عمارة فنية شهدها تاريخنا الأدبي الحديث"، ولقب نجيب محفوظ بالأب الروحي للرواية العربية باعتباره الروائي العربي الذي نال جائزة نوبل للآداب عام 1988م[3].

وهنا نجد اتفاق النقاد على أن أول رواية عربية هي رواية" زينب "لمحمد حسين هيكل عام 1912م، وأن طه حسين وكذلك نجيب محفوظ كانت لديهم أعمال بارزة في الأدب والرواية العربية ساهمت في إثراء الأدب العربي.

---

1 هيكل رائد الرواية السيرة والتراث، طه وادي، دار النشر للجامعات، القاهرة، الطبعة الثانية، 1996م، ص91-92.

2 الرواية العربية النشأة والتحول، محسن جاسم الموسوي، منشورات دار الآداب، بيروت، الطبعة الثانية، 1988م، ص10.

3 مدخل إلى قراءة روايات نجيب محفوظ، سمى سويدان، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد 66-67، مركز الاتحاد القومي، بيروت، 1989م، ص65/ من قضايا الروايا العربية الجديدة في النقد المعاصر، عايدة مسعي ونسرين بوطرفة، جامعة العربي التبسي، تبسة، 2022م، ص12.

ومن هنا نجد أن الحديث عن الرواية العربية مرهون ومشحون بإرهاصات المورثات القديمة، والحديث عن إرهاصات القصة العربية في التراث يعد الحديث نفسه عن ارهاصات نشأة الرواية العربية؛ لأنه قد أشير واعتبر إلى أن الرواية والقصة يمثلان تيارًا واحدًا لتقارب الرؤى بينهما، وإن لم ينص بعض النقاد ذلك على اعتبار هذه الأشكال نوعًا أدبيًا له ملامحه وخصائصه الخاصة[1].

المطلب الثاني: مفهوم الرواية التونسية

ظهرت الرواية التونسية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين، متأثرة بعدد من الكتابات الغربية والعربية، وعلى رأسها تولتسوي وألكسندر دوما، والأديب اللبناني جورجي زيدان[2]، ويذهب الدكتور بن جمعة بوشوشه إلى أن للرواية التونسية بدايتين:

أ- **الأولى:** تتحدد زمنيا مع موفى الثلاثينات ومطلع الأربعينات من القرن العشرين، وتمثل هذه البداية أعمال محمود المسعدي، والحقيقة أن "أحاديث أبي هريرة" للمسعدي قد ظهرت فعلا في هذه الفترة، ولكنها لم تنتشر كاملة في شكل رواية إلا في عان 1973م.

ب- **أما البداية الثانية** للرواية التونسية في رأي الباحث فهي نهاية الستينات، وتجسدها رواية "الدقلة في عراجينها" للبشير خريف الذي يعد أب الرواية التونسية الحديثة والمعاصرة[3].

---

1 أصالة الرواية العربية المعاصرة عبر التراث والمعاصرة، عبد الحليم بن صالح، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، 2017م، ص249.

2 الرواية التاريخية التونسية، سامية بوعجاجة، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2019م، ص70.

3 أبحاث في الرواية العربية، صالح مفقودة، ص13.

وقد مرت الرواية التونسية في تطورها بمراحل ثلاث، وهي:

1- **مرحلة المحاكاة والاقتباس:**

إذ تأثر الأدباء بالروايات الغربية وخاصة منها الفرنسية، وعمدوا إلى ترجمة بعض الأعمال الروائية من الفرنسية إلى اللغة العربية مثل رواية "خاتم عقد بني سراج" لرينيه دي شاتو بريان المترجمة من طرف محمد المشيرقي (1885-1946م).

وفي نفس الفترة ترجم إبراهيم بن شعبان (1892-1930م) رواية من شريط سينمائي عنوانها "فظائع المقامرة" سنة 1910م.

2- **مرحلة تشكل الوعي الإبداعي:**

برزت أسماء أسهمت في النهوض بالعمل الإبداعي عامة والروائي خاصة، تجلى ذلك في أعمال الروائي محمود المسعدي، خاصة روايته الشهيرة "حدَّث أبو هريرة وقال" والتي صدرت في سنة 1944م.

3- **مرحلة ما بعد الاستقلال:**

وهذه المرحلة تعد الانطلاقة الفعلية للرواية التونسية بمختلف أنماطها (واقعية، اجتماعية، ذهنية وتاريخية).

وتعد رواية "هيفاء وسراج الليل" لصالح السويسي القيرواني (1871-1941م) أول رواية تونسية عام 1906م ألفها لتحقيق هدفين اثنين هنا:

أ- تربوي: يدعو الشباب إلى التحلي بالطموح لتحقيق المعالي.

ب- ديني: يدعو إلى تحقيق الوحدة الإسلامية بين المسلمين[1].

بالنظر لما سبق يمكننا القول بأن الرواية التونسية قد شقت طريقها نحو صعودها على الساحة الأدبية، وقد مرت بمراحل ثلاث، مرحلة المحاكاة والاقتباس ومرحلة تشكل الوعي الابداعي ومرحلة ما بعد الثورة، وكان لكل مرحلة مميزاتها ورواياتها التي نشأت خلالها.

---

1 الرواية التاريخية التونسية، سامية بوعجاجة، ص71-72.

لقد بلغت الرواية التونسية في الثمانينات كمًّا لا يستهان به، إذ قاربت في نهاية 1985م الثمانين رواية لم يصد منها قبل سنة 1970م سوى عشرين، ولعل تطور حركة النشر وظهور ناشرين خواص من أهم العوامل التي ساعدت جيل الاستقلال على إبراز إنتاجه، وإن كان المخطوط في تقديرنا يتجاوز ما نشر في تلك الفترة، وأمام هذا التطور الكمي والنوعي للرواية التونسية صار من الضروري تصنيفها إلى جملة من الاتجاهات ليست بالضرورة قائمة على تعاقب الأجيال واختلاف المصادر الثقافية، وأهم عقبة تعترض مصنف الروايات التونسية تتمثل في كثرة المؤلفين الذين لم يتجاوز جلهم إصدار رواية واحدة شأن كتَّاب القصة القصيرة، فالعديد من العوال تجعل الروائي التونسي قصير النفس، سرعان ما يتجول إلى أجناس أدبية أخرى أو يتوقف تماما عن الكتابة بعد أن أقام الدليل على مقدرته الواعدة، ولهذا السبب تعددت الأنماط الروائية وصار كل تصنيف تعميميًّا مهما كانت دقة المصطلحات المستعملة[1].

لقد شقت الرواية التونسية طريقها بمعزل عن الرواية الغربية وتجاربها الحديثة باستثناء بعض النماذج، إنها تأسست في منتصف القرن الماضي فاستلهمت أحداث الماضي، ثم أخذت شيئا فشيئا تتدرج نحو الواقع الراهن وتتكيف بحسب شخوصه وقضاياه، منكمشة على نفسها غير متفتحة على الرواية المشرقية إلا نادرا، حتى ظهر في الثمانينات من يواصل المسيرة التي بدأها محمود المسعدي وانقطع عنها بسبب تحمله لمسؤوليات سياسية متعاقبة، فظهرت مجموعة من الشبان المتحمسين لابتداع رواية عربية تونسية غير مقطوعة الجذور وغير تابعة في الوقت، وفي تلك الفترة ازدهرت الرواية الاجتماعية القائمة على الواقعية النقدية ازدهارا بيّنا في السبعينات والثمانينات بفضل أعمال الرواة مثل محمد صالح الجابري ومحمد الهادي بن صالح وعمر بن سالم المتواصلة[2].

---

1 تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر، إعداد مجموعة من الباحثين، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، تونس، الطبعة الأولى، 1993م، ص137.

2 المصدر نفسه، ص153.

لقد برزت الرواية التونسية خلال فترة الثمانينات بأعداد لا يستهان بها، فقد بلغت حوالي الثمانين رواية، ومن أهم العوامل التي ساعدت جيل الثورة على إبراز ثروته الفكرية تطور حركة النشر، وظهور ناشرين خواص، وشقت طريقها بمعزل عن الرواية الغربية إلا في بعض النماذج فقط.

المطلب الثالث: صورة المرأة في الروايات التونسية

لقد صور الأدباء المرأة في صور متعددة نابعة من ثقافتهم وتقاليدهم، وأصبحت محورا من المحاور التي استخدموها كتعبير عن مختلف تصوراتهم وأفكارهم، وهي التي تشكل منطلقا فكريًّا يعبّرون من خلاله عن همومهم الذاتية وواقعهم السياسي والاجتماعي والاقتصادي والقضايا الإنسانية، كما أصبحت رمزا زاخرا بالعديد من الدلالات وتنوعت صورتها في الرواية العربية بشكل عام وفي الرواية التونسية بشكل خاص "ولهذا اهتم بها الشعراء والروائيون في رواياتهم وقد عبروا عنها في صور عدة في اعمالهم لأن حركة المرأة ترتبط بحركة المجتمع من جهة ومن جهة أخرى تمثل دلالة ورمزا ثريًّا مُوحِيًا عن الوطن"[1].

ويمتاز المجتمع التونسي عن بقية البلدان عربية الثقافة الأخرى باحترام أكبر للأنثى كونها غير معرّضة لتشاركها زوجة ثانية بيتها:

أ- أولًا: من خلال "الصداق القيرواني" والذي يمثل زواج أبو جعفر المنصور من أروى القيروانية في بداية القرن الثامن ميلادي وزواج المعز لدين الله الفاطمي في القرن العاشر أشهر أدلة عليه.

ب- ثانيا: حق طلب الطلاق بعد مدة من غياب الزوج يحددها القاضي (القرن الحادي عشر ميلادي).

ت- ثالثا: حق توريث المرأة ذات الرحم أو من هو نسلها مما مكنها من تكوين ثروات وأملاك خاصة بها.

---

1 المرأة في روايات سحر خليفة، غدير رضوان طوطح، رسالة ماجستير، الدراسات الأدبية المعاصرة، إشراف محمود العطشان، كلية الآداب، جامعة بيروت، 2006م، ص18.

لقد كانت المرأة محورًا أساسيًّا في الروايات العربية وخاصة التونسية، ليتخذها الأدباء نقطة انطلاق للتعبير عن مشكلاتهم الاجتماعية والسياسية وغيرها من المشكلات التي كانت تحوم في المجتمع في ذلك الوقت، إلا أن صورة المرأة التونسية في الأعمال الأدبية قد كانت مختلفة عن غيرها من المجتمعات العربية، فقد عملت على نقل الواقع الاجتماعي ونقده وتوضيح العلاقة بين الرجل والمرأة والحالات النفسية بينهما.

عبر البشير بن سلامة في روايته "عائشة" عن تردي الأوضاع عموما وهم النظرة الدونية المحقرة للمرأة وتتكرر نفس الصورة في رواية "حليمة لمحمد العروسي المطوي" في حديث النسوة عند العين: فاطمة الشخماء بشرت بمولود بعد أن نالها التعب المر وعسر الولادة، لكن مادام المولود ذكرا فلكل عذاب يهون .... إن زوجها عصبي المزاج، كان يهددها بالطلاق لو ولدت بنتا" كما يتردد صداها في صرخة بطلة "قليل من الرغبة" لمنيرة رزقي: وها أنني الآن أحس وهو في مدينته البعيدة أنه كان يحلم أن أكون ولدا يشبهه ويرث عنفوان رجولته، البنت الوحيدة، أي قدر لعين: عقدة الوحدة ولعنة الأنوثة، إنني أمقت هشاشة الانثى وضعفها، فهل الأنوثة شيء ما يمس أجسادنا وروحنا فتجعلنا كائنات هشة وضعيفة ؟"[1].

هنا يظهر جليا في الرواية النظرة الدونية للمرأة، فقد كان قدرها لعين بالضرب والتهديد بالطلاق إن لم تنجب طفلا ذكرا، لأنها لو أنجبت أنثى فسوف تتعرض للهوان والعنفوان.

وفي رواية "سهرت من الليالي"، الأقدم زمنيا، رسم لنا علي الدوعاجي حياة امرأة تعاني الأمية وتتزوج مرغمة من رجل يتعاطى السكر والعربدة ويعنفها ناعتا إياها بأفظع الصفات موجها لها كلاما بذئ وسوقيا، ومع أنها تشعر اتجاهه بكل أصناف الكره إلا أنها تستمر في السهر على راحته غير مبالية بنفسها، لكن محمد العروسي المطوي قدم في ذات العمل الروائي "حليمة" صورة مختلفة تماما، صورة مشرفة للأنثى التونسية كصنف للدفاع عن القضايا الكبرى ف: المرأة هي أيضا تعرف القيم التي يقوم الذكر بتحقيقها بصورة فعلية"[2].

---

1 رويدة سالم، مقال علمي منشور على موقع weculture@almayadeen.net ، بتاريخ: 02-01-2017م.

2 رويدة سالم، نفس المقال السابق.

وهنا تظهر صورة المرأة في الواقع الاجتماعي المتهمة بالأمية، ولكنها تحاول الحفاظ على منزلها بشتى السبل غير مبالية بنفسها.

ومنذ بداية الرواية نلاحظ تمتع حليمة بشخصية قوية وبذكاء وباستقلالية في التصرف واتخاذ القرارات ومشاركتها في العمل النضالي من أجل تحرير الوطن قدم هؤلاء الروائيون أنموذجا مثاليا للأنثى موازي للمثال الحي في المجتمع بكل جمالياته وعيوبه وجوانبه السلبية.

وصورة المرأة عموما عبر التاريخ فهي كائن لا يساويه شيء ولا يمكن أن يتساوى مع شيء لأنه الأم وهي الفاضلة لأنها تؤمن وتثق بالرجل ومبادئه ومجتمعه وأخلاقه ومعتقده وهي المحبوبة لأنها تتعذب في صمت وإن تمردت تلاقي الإدانة والإقصاء، هذه الصورة الجذابة للأنثى هي في الواقع هدامة لأنها خاضعة لشروط فكر المجتمع الذكوري الذي يسعى إلى أن تبقى الأنثى سلبية محتجزة في العادة والتقاليد والبيت مما جعلها ترسم كوسيلة وكشيء ولا كغاية.

ففي رواية البحر ينشر ألواحه "لمحمد صالح الجابري" يقتصر وجود أم دربال البطل في الرواية على تزويد ابنها بالوصية وقت سفره ثم تختفى نهائيا، وأم حبيبة في ذات الرواية هي المرأة القاسية الصارمة التي تراقب سلوك ابنتها لتحميها من العصر، لكن غيابها يؤدي إلى جنوح البنت ومعاشرتها للبطل، أما في رواية "رشوا النجم على ثوبي" فتستعير الكاتبة اللغة من الخطاب الصوفي والفكرة من الخطاب النسوي لتؤكد "أن الأنثى هي الأصل" تتعالى حواء في هذا النص، على آدم وتتوق للكمال بالاتحاد مع خالقها الذي يبادلها في النهاية حب بحب مؤكدا أنها أصل اللذة والحب وأنه ينصهر فيها تقدم هذه الروايات الأنثى كإنسان كامل يعادل الرجل في كل شيء[1].

وهنا يُظهر الكاتب الجابري أن المرأة إنما دورها ثانوي ولم يبرزها في روايته، فكانت أم دربال وأم حبيبة ذا دور غير بارز في الرواية، على عكس الأمر تماما فقد كانت الأنثى هي

1 رويدة سالم، نفس المقال السابق.

الأصل وتتوق للكمال في رواية رشوا النجم على ثوبي، فعملت الكاتبة على إبراز شخصية المرأة وإبرازها في المجتمع.

المطلب الرابع: صورة المرأة في روايات خولة حمدي

روايات خولة حمدي تتميز بطابعها الإسلامي ودفاعها عن أكاذيب موجهة للإسلام، وتحافظ عن الكتابة ضمن نطاق الأدب وأخلاق المسلم، فنجد الروائية خولة حمدي قدمت صورة إيجابية للمرأة حيث جعلت معظم البطلات، مثقفات، وذوات تعليم عالٍ، راقيات في سلوكهن، في رواياتها سنلاحظ دون عناء حضور المرأة الواقعية المتعلمة والمثقفة والملتزمة في جميع الأعمال، وتظل متمسكة بمبادئها ومواقفها رغم الظروف المعاكسة في كثير من الحالات.

في رواية "في قلبي انثى عبرية" صورت المرأة قوية شكيمة وذات أثر طيب مخلصة مؤمنة صادقة وصبورة، ذكية وحنونة تبحث عن الكمال، تتمسك ندى بالتعاليم اليهودية قبل أن تدخل الإسلام ثم تصير أشد تمسكا بالمبادئ الجديدة الإسلامية.

وفي رواية "غربة الياسمين" قدمت خولة حمدي صورة مغايرة للأنثى داخل المجتمع، فقد تعددت وتنوعت تلك الصور، نجحت بكونها امرأة: أم وزوجة ومسلمة وعاملة ومحجبة، وأنها رمز للقوة والثبات، بالرغم من التحديات العويضة والشائكة حققت طموحاتها وآمالها وأثبتت وجودها، ولم تنطل عليها كل محاولات الإغراء للتخلي عن مبادئها.

وفي رواية "أرني أنظر إليك" صورت المرأة عفيفة مؤمنة متدينة لها شخصية قوية ومستقبل زاهر، مبدعة مبتكرة وعلى درجة كبيرة من الإيمان والالتزام.

وفي رواية "أن تبقى" صورتها بأنها شديدة الأثر والتأثير في الغير منذ الطفولة، جعلت المرأة قوية، رغم المرض شديدة التحمل تتميز بالجمال على أي صورة كانت عليها، مخلصة حنونة متسامحة، كريمة، أم وأخت وابنة وصديقة، في كل كتاباتها صورت المرأة

بأنها أيقونة للالتزام بالمبادئ في زمن يصبح فيه المتمسك بمبادئه إسلامية كالقابض على الجمر، وهذا يقدم المرأة بصورة تعاكس ما دأبت عليه أعمال أدبية وفنية لم تر في المرأة إلا كائنًا مسلوب الإرادة والقرار، وهي عاجزة عن إثبات وجودها فضلًا عن انتزاع حقوقها التي تواطأت عوامل عدة على النيل منها.

الفصل الأول:

صورة المرأة في المجتمع التونسي

1- **المطلب الأول:** المرأة في النظام الأسري (الأم، الأخت، الزوجة، البنت، الجدة)

2- **المطلب الثاني:** المرأة والصداقة

3- **المطلب الثالث:** المرأة والعمل

الأسرة هي الخلية الأساسية في المجتمع وأهم جماعاته الأولية، تتكون من أفراد تربط بينهم صلة القرابة والرحم، تساهم الأسرة في النشاط الاجتماعي في كل جوانبه المادية والعقائدية والاقتصادية ويعرفها بل وفوجل:" هي وحدة بنائية تتكون من رجل وامرأة يرتبطان بطريقة منتظمة اجتماعية مع أطفالهم ارتباطا بيولوجيا أو بالتبني".

المطلب الأول: المرأة في النظام الأسري

1-الأم

لا تكاد تخلو أي رواية من وجود الأم حيث برز نموذج الأم في عدة مواقع في الرواية، وكلٍّ منهن لها شخصية قد تختلف في شيء ما عن غيرها من الأمهات الأخريات، إلا أنهن يلتقين في كونهن أمهات يضحين من أجل تربية أبنائهن والاهتمام بشؤون الأسرة على حساب شؤونهن الخاصة، أمهات كادحات في صمت وإصرار محافظات على دينهم وعن العادات والتقاليد.

فتعتبر الأم ركيزة البيت، وهي زهيرة الحياة، رضاها يحدد المصير، لا راحة في الدنيا دون ابتسامتها، ولا جنة في الآخرة عند غضبها تعلم العطاء بأفعالها، وهي التي تقدم دون أن تأخذ، ولا تنتظر إلا أن ترى النتيجة بالتقدم والنجاح لأبنائها، هي الصانعة للأجيال والمثابرة فكما يقول الشاعر حافظ إبراهيم:

الأم مدرسة إذا أعددتها*** أعددت شعبا طيب الأعراق[1]

فالأم بمثابة الموجه والمرشد لأبنائها وهي التي تغرس القيم والأخلاق بشخصياتهم قبل الخروج إلى العالم، إنها الأم وما أدراكم ما الأم! أم الشيء يعني أصله وجذره، بدونها لم يكن لك وجود في الحياة، فإذا ذهب الأصل أو الجذر أصبحت في العراء، معرضا للأهواء والآفات والعلل والآلام والأوجاع، وأمسيت بلا ركن تأوي إليه، أو دعاء تعتمد عليه! الأم هي

1 ديوان حافظ إبراهيم، حافظ إبراهيم، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، مصر، الطبعة الثالثة، 1987م، ص282.

رمز العطاء بلا حدود والتضحية بدون انتظار والبذل من غير مقابل، والحنان الغامر والعاطفة الجياشة والقلب الرحيم.

ومن أعظم الأدلة على مكانة الأم في الإسلام، الحديث النبوي الشريف الذي يروي قصة رجل جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله من أحق الناس بصحابتي يا رسول الله؟ قال:" أمك"، قال: ثم من؟ قال:" أمك"، قال ثم من؟ قال:" أمك"، قال: ثم من؟ قال:" أبوك"[1].

رسولنا المصطفى صلى الله عليه وسلم يوصى بها 3 مرات مقابل مرة واحدة للأب، وهي الأم الحنونة الرؤوفة التي لو اجتمع كل الرجال العالم لما استطاعوا القيام بمهمتها كأم، فرحمها مستودع الأبناء، وحضنها كنز الحنان، فلا رعاية بدونها ولا تربية الأجيال إلا بها[2]، باختصار لا حياة دونها ولقول رسول صلى الله عليه وسلم:" الجنة تحت أقدام الأمهات ".

الأم نجاة والدة ليلى وقد توفيت عنها وهي صغيرة في سن لا تتجاوز الأربعين بالمرض الخبيث بعد انفصالها عن والد ليلى وذهاب ليلى مع والدها.

وهي شخصية عنيدة الطباع صعبة المراس، ويظهر ذلك في قول المربية مريم:

- نجاة كانت شخصية عنيدة وعصبية رحمها الله[3].

وإنها انفصلت مع والدها بسبب تلك الطباع، الأم نجاة كان الجميع يمقتها:

- أمي كانت ممقوتة من الجميع[4].

صورتها الروائية بأنها كانت مكروهة من الكل:

- من الواضح أنها لم تكن محبوبة ،حتى من المربية[5].

---

1 بوابة الأهرام، مكانة الأم في الإسلام قصص وأحاديث نبوية، تاريخ: 21-03-2019م، 17:24، https://gate.ahramw.org/eg .

2 المرأة اليهودية والمسيحية في الإسلام، زكي علي السيد أبو عضة، دار الوفاء، الطبعة الأولى، 2003م، ص7.

3 أين المفر، خولة حمدي، كيان للنشر والتوزيع، القاهرة، 2018م، ص65.

4 المصدر نفسه، ص65.

5 المصدر نفسه، ص66.

صورة الأم في الرواية تكاد تكون غائبة أو نمطية ولا تمثل أي حضور مهم لها دور محدود في حياة البطلة، ودورها مكمل لديكور الأحداث، والأم لم تحض اهتمام الكاتبة فقد صورتها على نحو سطحي حيث لم تتعرض لتفاصيل كثيرة ذكرتها بمساعدتها استرجاع الأحداث.

2- **المرأة الأخت**

الاخت هي كتلة الحنان تكفي لملء الكون كله، وهي التوحد من كل شيء، الإخوة كنافذة من زجاج صاف، نطل منها على أحلى ما في الدنيا، ونرى من خلالها كل المعاني الجميلة، الأخت هي قلب أختها وكاتمة أسرارها، هي علاج لهموم الأيام والأمل، إذا غابت الأخت حكاية لا تصفها الحروف.

للأخت فضل عظيم في حياتنا، وذلك ما عرفناه من القرآن الكريم، حيث ذكر الله الأخت في العديد من الآيات، مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ (البقرة:178)، حيث يحث الله عز وجل في هذه الآية على فضل الأخوة، وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾(القصص:11)، وهنا يعظم الله من شأن الأخت التي تركت شأنها ومضت في عالم من الخوف وراء أخيها الرضيع،

فالأخت هي النسخة المؤهلة لحمل رسالة الأم، ولقول الشاعر:

قدر الأخوة فيك لا يعلى عليه وإن بعدت * فمكانك بين الحنايا والشغاف فأنت أختي

فنجد في هذه الرواية صورة الأخت والتي تجلت في **شخصية حنان**، فقد ذكرت الروائية أن للبطلة أختًا اسمها حنان وهي متوفية منذ ثلاث سنوات.

حنان توأم البطلة ليلى قد توفيت في حادث سيارة منذ ثلاث سنوات، بعد سنة واحدة من زواجها[1].

1 المصدر نفسه، ص23.

كانت ليلى واختها حنان يتشابهان كثيرا:

- لقد كانت حنان تشبهها حد التطابق توأم حقيقي[1].

كانا يتشابهان خارجيا لا داخليا، كانت حنان سلبية وغير ملتزمة عكس أختها ليلى، فحنان عاشت مع أمها في بيت خالها نبيل القاسمي رجل الأعمال المعروف في تونس على عكس أختها ليلى التي عاشت مع أبيها في سويسرا، وكانت البنت المراهقة المدللة:

- إنها لا تبدو على طبيعتها هذه الأيام، عصبية ومزاجية، لقد كانت مدللة منذ الأزل، لكن الأمر يفوق المحتمل[2]، وهذا دليل أن الأخوة ليسوا دوما صالحين.

ونتيجة هذا الدلال أصبح لديها الكثير من رفقاء السوء الذين يروجون المخدرات:

- حين رأيت حنان تحت الجسر مع مجموعة من الشباب المشبوه، كانت تبدو في حالة مزرية[3].

فأصبحت مدمنة:

- أول ما فكرت فيه أنها قد تكون استهلكت مشروبات كحولية[4].

كانت حنان لا تهتم بالدراسة:

- ليس من شأني، الكل يعلم أن الدراسة ليست من اهتماماتها، ولا أحد يتوقع لها أن تدخل الجامعة أصلا[5].

كانت تقضي وقتها مع أصدقائها وكانت ذات أناقة وزينة في كل الصور التي شاهدتها ليلى من خلال تصفحها لصفحتها عبر مواقع التواصل الاجتماعي في صور الحفلات والمناسبات الباذخة، وكانت صور الحفلات قد توقفت منذ خمس سنوات، قبل

---

1 المصدر نفسه، ص25.

2 المصدر نفسه، ص207.

3 المصدر نفسه، ص208.

4 المصدر نفسه، ص208.

5 المصدر نفسه، ص209

زواجها، وكانت منشوراتها الأخيرة عبارة عن سلسلة من المقولات المأثورة والاقتباسات الحزينة[1].

كانت ليلى تريد التعرف على شقيقتها حنان المتوفية أكثر، وذلك من خلال التعرف على صديقاتها، ولكنّ الأمر كان عسيرا.

- كان من العسير العثور على صديقات حنان، فصفحتها كانت مليئة بالشبان، وصورها تحصد منهم عبارات الإعجاب وكلمات الإطراء والغزل، لكن المنشورات الأخيرة كانت أقل شعبية بكثير، كان عليها أن تنقّب باجتهاد حتى تصل إلى بنات دفعتها في كلية الفنون الجميلة، وقد كانت مهمَّة عسيرة استنفذت ساعات السهرة كلها[2].

لم تكن حنان محظوظة في حياتها، على الرغم من أنها كانت على قدر وافر من الجمال والثراء إلا أنها كانت تعيسة، وهذا يظهر جليًّا في حديث صديقاتها مع ليلى.

- من المؤسف أنها قد تزوجت في سن مبكرة، لقد كان زواجا تعيسا!.
- أمَّنت الثانية على قولها: زواج الأقارب أمر سيء، لكنها في وضع حنان كان سيئًا تمامًا[3].

لم تكن حياة حنان سرًّا على أحد، وكانت مشهورة بالجامعة، وكانت قصة انتحارها أيضا كذلك مما أثار دهشة وصدمة ليلى في معرفتها لهذا الأمر

- في الحقيقة، حنان كانت مشهورة جدًّا في الجامعة، الجميع في دفعتنا وفي الدفعات التالية يعرف قصتها.
- ماذا؟ أيُّ قصة؟
- لقد نشرت القصة، حين حاولت الانتحار.

---

1 المصدر نفسه، ص25.

2 المصدر نفسه، ص33.

3 المصدر نفسه، ص34

- حاولت الانتحار؟ نشرت القصة؟ أين؟!
- على موقع الجامعة، أظن أن الصفحة قد أحيلت إلى الأرشيف الآن، لكن يمكنك الرجوع إلى الموقع والبحث عن المنشورات منذ خمس سنوات تقريبا.
- حنان نشرت قصتها الحزينة على موقع الجامعة، ثم صعدت على سطح المبنى، وهددت بإلقاء نفسها من علٍ، لكن الموقف انتهى على خير[1].

لقد عرفت ليلى أخيرًا قصة حنان، وذلك من خلال أحد أصدقائها من أيام الكلية حين التقته في حفلة شواء أعدها خالها وكان موجودا بها.

- لقد كنا شلة واحدة في الجامعة، حنان وأنا وآخرون نخرج سويًّا، نسهر، نرقص، ولكننا لا نؤذي أحدا، ثم حصل أن دعانا أحدهم إلى تجربة شيء جديد، ولم نكن ندرك العواقب.
- ماذا جربتم؟
- مخدراتّ وفي ظرف وجيز كنا قد أدمنَّا جميعا.
- يا إلهي.
- مرَّت علينا سنة عصيبة، لم يكن الإقلاع أمرا سهلا، البعض تحطمت حياته بالكامل، وترك الدراسة وغاب عنا تماما، والبعض الآخر نجح في العلاج في وقت مبكر، وبعد وقت طويل عرفت أن عائلة حنان اكتشفت أمرها متأخرة، ولذلك جعلوها تسافر للعلاج في سويسرا، لكنها لم تستجب وتوفيت بعد ذلك بجرعة زائدة[2].

وهنا ترسم لنا الرواية صورة الأخت حنان، تلك الفتاة المراهقة المكتئبة والمشاغبة بسبب الإهمال الشديد والحرمان من أختها إلى إدمانها ووفاتها بجرعة زائدة.

3- المرأة الزوجة

---

1 المصدر نفسه، ص35.

2 المصدر نفسه، ص115-116.

الزواج ميثاق تراض وترابط شرعي بين رجل وامرأة على وجه الدوام، غايته الإحصان والعفاف وإنشاء أسرة مستقرة برعاية زوجين، ولم تعد الزوجة مجرد متاع للرجل؛ بل أصبحت ركنا مهم من أركان الأسرة، فليس للرجل سعادة ولا طمأنينة إلا إذا كان لزوجته مثل ذلك، فقد جعلها القرآن شريكة للرجل في صنع الحياة الزوجية[1].

قال تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةٗۚ ﴾(الروم:21)، والرسول صلى الله عليه وسلم قد جعل الزوجة الصالحة خير ما في هذه الدنيا بقوله:" الدنيا متاع وخير متاع الدنيا زوجة صالحة"[2].

وتمثلت شخصية الزوجة في رواية أين المفر؟ في منال الشابة التي تقترب من الثلاثين من عمرها، امرأة محتشمة ومحجبة، وهي زوجة ياسين ابن خال البطلة ليلى، وكانت تعمل في شركة خالها، وهناك تعرفت على زوجها ياسين:

- كنت موظفة في شركة عمي نبيل، في قسم العلاقات العامة، ثم التقيت بياسين، وحصل ما حصل[3]، وعندما أنجبت ابنتها انقطعت عن العمل.

قدمت الرواية صورة الزوجة ولكن ليست بالصورة النمطية للمرأة المتزوجة والسعيدة، كانت ابنة عمة زوجها ليلى تشعر بأن منال غير سعيدة وتشفق عليها من هذا الزواج:

- لكن ضحكة منال لم تبد صافية، شعرت ليلى بإحساس غريب بالشفقة تجاهها، منال: أنت لست سعيدة أيضا[4].

وليلى وصفت زوج منال بأنه مدمن عمل، عمله مقدَّم عن كل شيء حتى على زوجته:

---

1 قضايا المرأة في الشعر العربي الحديث، عادل محمود أبو عشة، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب، مصر، 1945م، ص05.

2 صحيح مسلم، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، ج3، ص178.

3 أين المفر، المصدر السابق، ص53.

4 المصدر نفسه، ص54.

- ياسين ممل، مدمن عمل، يُعتمد عليه[1].

كان زوج منال يتكل عليه والده في أمور العمل بمعنى أتم ذراعه الأيمن في الشركة ويعتمد عليه في كل شيء، ومنال كانت محبة لمساعدة ليلى في أي شيء تريده، ويظهر ذلك في قولها:

- إن احتجت أيّ مساعدة، لا تترددي فأنا متفرغة لك كليًّا[2].

كانت منال قبل زواجها لديها الكثير من الطموحات، وعندما تزوجت لم تعمل على تحقيق أي هدف:

- كنت أود تعلم اللغة الاسبانية، أو قد وددت على الدوام أن أحافظ على قوام رشيق، أردت أيضا تعلم نشاطا فنيا مثل الرسم على الزجاج أو الخزف[3].

وكانت ليلى تدفعها إلى تحقيق أهدافها، فهي ترى منال طيبة وتحمل صفات حسنة:

- منال: طيبة، سيدة مجتمع بائسة[4].

لذلك أرادت مساعدتها في تحقيق رغبتها، كانت منال تملئ وقت فراغها مع ثرثرة مع والدتها وصديقاتها والنوم؛ لأنها معظم الوقت وحيدة في المنزل، الكل لديه عمل يشغله ماعدا هي، كانت تشعر أنها وحيدة، رغم أنها تعيش في بيتها ولديها ابنة ولكنها تحس بفراغ عاطفي، فزوجها معظم الوقت مشغول وغائب عن المنزل، عمله مقدَّم على كل شيء، وزوجها جاف المشاعر:

- ياسين شخصية سطحية وبسيطة، تشفق على منال التي وقعت في مصيدة الزواج من رجل مشغول وجاف الطبع[1].

---

1 المصدر نفسه، ص69.

2 المصدر نفسه، ص53.

3 المصدر نفسه، ص216.

4 المصدر نفسه، ص69.

صورتها الروائية بالزوجة التي تعاني في صمت من الإهمال التي تعاني منه من طرف زوجها، واقتصرت مهمتها على تربية ابنتها وسهراتها الاجتماعية لسد فراغها.

إذن الصورة التي رسمت لهذه المرأة مثلت معاناة فئة من النساء التونسيات تحت الإهمال والجفاء العاطفي من طرف أزواجهن في ظروف معينة.

4- المرأة البنت

للبنت في رحاب الإسلام قيمة ومكانة، فهي رمز الحياء وعنوان العفة، وصانعة الأبطال، ومربية الأجيال، لقد أنزلها الدين الإسلامي منزلة الحب والاحترام، وجعل لها بحكم فطرتها وطبيعتها رعاية خاصة، إعدادًا للدور الكبير الذي ينتظرها في الحياة لتكون زوجة صالحة، وأم المستقبل، وخير النساء من تعي دورها التربوي والأسري[2].

والنبي صلى الله عليه وسلم كان أبا لبنات، رباهن فأحسن التربية، أربع بنات كلهن من السيدة خديجة رضي الله عنها ولقوله صلى الله عليه وسلم:" من ولدت له ابنة فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها يعني الذكر أدخله الله بها الجنة"[3]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت:" دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئا غير تمرةٍ، فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكلُ منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم علينا، فأخبرته فقال:" من ابتُلي من هذه البنات بشيءٍ كُنّ له ستراً من النار"[4].

فجاء الإسلام وحرم وأد البنات الذي كان شائعا في الجاهلية، فكان الأب يدفن ابنته وهي حية، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾(التكوير:8-9).

---

1 المصدر نفسه، ص69.

2 تربية الفتاة في الإسلام، تيار الإصلاح، www.noslih.com ، كتب بتاريخ: 25-02-2020، تاريخ الاطلاع: 03-05-2023م، 14:30 مساء.

3 رواه الإمام أحمد في مسنده، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ج3، ص294، حديث إسناده حسن.

4 رواه البخاري في صحيحه، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، رقم الحديث (1418)، حديث صحيح.

ظهرت في الرواية شخصيتا رجاء وريم ابنتا خالة فراس، وقد قالت ليلى عن رجاء بعد التقت بها أنها شخصية عدائية، ويظهر ذلك في قولها:

- لقد حصلت على الاهتمام الكافي من الجميع، فما الذي تطمعين فيه بالضبط؟
- اسمعي، لن أسمح بتكرار الخطأ نفسه مرتين، حنان واحدة تكفي.
- وفّري كلماتك، فقط أردت تحذيرك سأكون لك بالمرصاد[1].

ونجد رجاء صورة الابنة الغيورة والحقودة في السابق كانت تمقت حنان والآن ليلى بسبب فراس لأنه يهمه أمرها.

- رجاء عدائية، غيورة، يمهما أمر فراس[2].

ومما يظهر اهتمامها الشديد بفراس ابن خال ليلى، أنها تعاركت معها واتهمتها بالسرقة حتى سالت الدماء من وجه ليلى.

- دفعت رجاء دفة الباب وانقضت على ليلى: لم أتوقعك بهذه الوقاحة، ما الذي تفتشين عنه في غرفة فراس الآن؟
- ليس من شأني؟ ليس من شأني أيتها السارقة!
- تحسست وجهها، فاصطبغت أناملها بقطرات دم تنزّ من خدش يمتد على وجنتها[3]، وهي شخصية هامشية شغلت حيّزًا صغيرا في الرواية.

5- المرأة الجدة

أن تكون لك جدة فأنت محظوظ أكثر كلما كبرت وشبت عن الطوق، ستعرفها أما ثانية إن كان لك أم، وأماً وحيدة إن كنت يتيما، ستسمع دقات الباب وهي توقظك لتصلي الفجر، تحمل في يدها اليمنى سراج الزيت وفي الأخرى إبريقا معدنيا مملوء بالماء، ومواقف أخرى

---

1 المصدر نفسه، ص78.

2 المصدر نفسه، ص79.

3 المصدر نفسه، ص121-122.

كثيرة ربما لا تتذكرها بفعل تعاقب الليل والنهار وصنيعهما في ذاكرتك المثخنة بمواقف الزمن الحاضر الرديء[1].

وإذا كان كثير من الشعراء قد كتبوا عن الأم وحنانها وأن الجنة تجري تحت أقدام الأمهات، فإن أحمد شوقي كتب عن الجدة حيث يقول[2]:

لي جدةٌ ترأفُ بي أحنّ عليّ من أبي*** وكل شيءٍ سرّني تذهبُ فيه مذهبي

إن غضِب الأهل عليّ كلُهم*** لم تغضبِ

نجد في الرواية الحاجة فريدة، تلقب الجدة في الرواية بلقب السيدة الكبيرة، وهذا كان واضحا من خلال قول الخادم لليلى:

- السيدة الكبيرة هنا.
- السيدة الكبيرة؟ من يمكن أن تكون غير جدتها لأمها[3].

كانت الجدة ذات مقدار من التجاعيد التي كانت تكسو وجهها ورسمت على ملامحها، ولم يكن استقبالها لليلى هذا الاستقبال الذي كانت تنتظره من جدتها.

- ثم افترَّ ثغرها عن ابتسامة صغيرة، لا هي حفاوة مبالغ بها ولا جفاء مربك[4].

كانت الجدة ذات قول صارم، ورأي واحد لا جدال فيه، ويجب على البقية أن يسمع لقولها دون نقاش فيه.

- كانت الوجبة عل وشك الانتهاء، حين قالت الجدة بلهجة صارمة: ليلى ستأتي للإقامة عندي[5].

---

1 في ذكرى رحيل جدتي، منذر فؤاد، مقال في صفحة قناة الجزيرة، كتب بتاريخ: 26-07-2018، تاريخ الاطلاع: 05-04-2023م، 15:33 مساء، https://www.aljazeera.net/blogs/2018/7/26/

2 الشوقيات، قصيدة الجدة، أحمد شوقي، دار العودة، بيروت، 1990م، ج4، ص189.

3 أين المفر، المصدر السابق، ص40.

4 المصدر نفسه، ص40.

5 المصدر نفسه، ص41.

- لن أتركها تضيع كما ضاعت حنان.
- لم أكن يومًا راضية عن تربية مريم للأولاد.
- ونجيب والد ليلى، عديم الأصل ذاك رحل بالبنت، وبدل أن يكون أمينا عليها، ضيَّعها، انظر إلى الحال التي آلت إليها، انظر إلى لسانها المعوجّ، لا يمكنها أن تنطق جملة دون تعثر[1].

كانت الحاجة فريدة ذات فضل كبير على الكثير من الناس، ويظهر ذلك انها كانت صاحبة المدرسة القرآنية والتي هي من افتتحها.

- الحاجة فريدة فضلها كبير على كلّ من في المدرسة القرآنية.
- يكفي أنها افتتحت هذه الدار التي تضمنا جميعا.
- تلك مفاجأة أخرى، جدتها هي صاحبة المدرسة.

الحاجة الفريدة هي شخصية جريئة وصارمة المعبرة عن رأيها بكل شفافية ووضوح، وكانت مؤمنة بالطريقة الصوفية.

- لو كان الاسلام جسدا فالطريقة الصوفية هي روح هذا الجسد[2].

لقد تبين لليلى فيما بعد أن للجدة أيضا جمعية وقف خيري تقوم عليه، وقد جعلتها الجدة تعمل فيها مدة ساعتين يوميًّا.

- الجمعية قائمة منذ ثماني سنوات، لقد كانت أمنية على قلب الحاجة فريدة بعد زيارة بيت الله الحرام أن تنشئ وقفًا لله تعالى رحمةً على روح ابنتها الفقيدة[3].

لقد فوجئ الجميع باكتشاف أن الجدة كانت أحد أعضاء الكشافة في أيام زمانها، وفي مشاركتها ضد المستعمر.

---

1 المصدر نفسه، ص42.

2 المصدر نفسه، ص95.

3 المصدر نفسه، ص97.

- لقد كانت أحلى الأيام.. أيام كان الكشاف التونسي شخصا مسؤولا وفاعلا، له دوره في صناعة الرأي العام، والوقوف ضد قرارات المستعمر، لقد خرجنا، بعد موجة الاعتقالات التي طالت الوطنيين التونسيين سنة 1952م وصرخنا رفضا للقمع والظلم، كنا أحرارا، ضمائرنا حرة، وإرادتنا حرة، ورغم إيقاف الجمعية حينها ثبتنا على مواقفنا، ولم نرضخ حتى سمح لنا بالنشاط من جديد سنة 1954م[1].

1 المصدر نفسه، ص163.

المطلب الثاني: المرأة والصداقة

إن الصداقة هي النكهة التي تعطي للحياة طعمًا جميلًا وقيمة مختلفة، إن الصداقة كنز لا يعرف معناه إلا من يمتلك أصدقاء يساندونه في الحياة، وتظهر الصداقة الحقيقية في الشدائد والمحن، يظهر الصديق الحقيقي في هذه الأوقات العصيبة يعاون صديقه ويؤازره ولا يتخلى عنه، جاء في لسان العرب لابن منظور:" الصداقة من الصدق، والصدق نقيض الكذب، وبهذا تكون الصداقة هي صدق النصيحة والإخاء والصديق هو المصادق لك، والجمع صدقاء وصدقان وأصدقاء وأصادق، وقد يقال للواحد والجمع، والمؤنث صديق"[1].

ويضيف أرسطو إلى تعريف الصداقة" أنها عطف متبادل بين شخصين حيث يريد كل منهما الخير للآخر، مع العلم بتلك المشاعر المتبادلة فيما بينهما"[2]، وأن "الصديق هو من يعيش معك، والذي يتحد وإياك في الأذواق، والذي تسره مسراتك وتحزنه أحزانك"[3]،

وبذلك تقوم الصداقة على المعاشرة والتشابه والمشاركة الوجدانية، ونذكر تعريف أبي حيان التوحيدي للصديق حيث يذكر:" أنه لفظ مشتق من الصدق، وهو خلاف الكذب، أو من الصدق، حيث يقال رمح الصدق، أي صلب، وعلى الوجهين يكون الصديق صادقا، إذا تحدث ويكون صدقا (أي طلبا جادا) إذ عمل"[4].

أقر الدين الإسلامي صريحا بالصداقة كأحد العلاقات الاجتماعية التي تربط الناس ببعضهم إذ قال الله تعالى ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ

1 لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ، ص2417-2418.

2 علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، أرسطو طاليس، ترجمة أحمد لطفي السيد، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1924م، ص225-226.

3 المرجع نفسه، ص288.

4 الصداقة والصديق، أبو حيان التوحيدي، المطبعة النموذجية، القاهرة، 1972م، ص94.

بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾(النور:61)،

وجاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول عليه الصلاة والسلام أنه قال:" المرءُ على دينِ خليله، فلينظر أحدكم من يخالل"[1]، إذ حث النبي صلى الله عليه وسلم على النظر بعين البصيرة إلى أمور وأوضاع من يصاحب وينتبه من مصادقة من لا يرضى عن دينه، ولقول المتنبي:"

شر البلاد بلاد لا صديق بها*** وشر ما يكسب الإنسان ما يصم

وأيضا قول جميل صدقي:

عاشر أناسا بالذكاء تميزوا** واختر صديقك من ذوي الاخلاق

لقد تعددت صديقات ليلى بتدرج الرواية وتعدد المواقف والأماكن، فيظهر لنا من خلال الاطلاع على الرواية أن لليلى أكثر من صديقة بداية من سحر التي كانت في سويسرا، مرورًا بنسرين التي تعرفت عليها في رحلة للكشافة، إلى سوسن التي كانت صديقتها في هامبورغ بألمانيا.

1- **سحر:**

صديقة ليلى المقربة في سويسرا وزميلة دراستها في كلية الصحافة والإعلام[2]، كانت المفاجأة أنها جاءت إلى تونس .

- لقد لحقت بك!
- ماذا تقصدين؟
- لقد جئنا أيضا... في إجازة![1]

1 الأمالي المطلقة، ابن حجر العسقلاني، من حديث أبي هريرة، حديث رقم:151، حديث حسن.

2 أين المفر، المصدر السابق، ص69.

سحر كانت ودودة جدا مع ليلى سواء كان في سويسرا أو في تونس، وكانت تعاملها بطيبة جدا، ولم يمنعها أن تسأل عن والدها الذي كان وقتئذ في السجن.

- كيف هو والدك؟
- أرجو أن يفرج عنه قريبا[2].

كانت ليلى تشعر بالوحشة وحدها في بيت خالها إلى أن أتت صديقتها سحر إلى تونس.

- شكرًا لمجيئك.. أكاد أختنق بمفردي.
- تعالي لزيارتي كل يوم، وسآتي لزيارتك أيضا[3].

كان الخروج مع سحر يفيد ليلى كثيرا خاصة بعد ان انغمست في أشغالها الجديدة في الجمعية.

- كان التسوق مع سحر أمرًا مفيدًا، فهي تعرف مداخل المدينة العتيقة ومخارجها، والمحلات التي تقدم منتجات جيدة النوعية بأسعار مناسبة.. كانت الفرجة مسلية وملهية[4].

سحر كانت مع ليلى في أكثر الأوقات خشونة مع ليلى، حينما هاجمتها رجاء ليلة الحفلة في غرفة فراس، وكانت سحر قد تدخلت بينهما لفض الاشتباك.

- تدخلت سحر محاولة فض اشتباكهما.
- يا إلهي من تلك المجنونة؟[5]،

---

1 المصدر نفسه، ص69-70.

2 المصدر نفسه، ص74.

3 المصدر نفسه، ص75.

4 المصدر نفسه، ص100.

5 المصدر نفسه، ص121.

فعلاقة الصداقة بين سحر وليلى مثالية، ولم تتخلى عن ليلى وقت الحاجة وأيام الضيق:

- احتضنت سحر ليلى مواسية لها، لأن اسم خالها قد ورد في قائمات رجال الأعمال الفاسدين المرفوعة للهيئة الوطنية لمكافحة الفساد[1].

وكان كل منهما تنتمي إلى فئة مختلفة وهذا ما أدى إلى وجود خلاف بينهما، لكنها صديقتها الصدوقة، ولم تتخيل أن تختلفا يوما في وجهات النظر إلى هذا الحد:

- أمسكت بذراعها تستوقفها وقالت في أسف: أعتذر، لم أقصد أن أجرحك[2].

وهذا مثال الصداقة الحقيقية، إذ حصل بينهما خلافا فإنه سرعان ما ينتهي باعتذار ويتصالحا، صورتهم الروائية بأنهم صديقات حقيقيات يتبادلون أطراف الحديث والهموم بكل صدق بعيدا عن الكذب والنفاق، فامتلاك صديق جيد مثل سحر في هذا الزمن يعتبر ثروة حقيقية.

2- **نسرين:**

الصديقة الجديدة لليلى التي تعرفت عليها خلال مخيم للكشافة، وبعد ذلك اكتشفت أنها معجبة بأمين ابن خالها.

- اقتربت نسرين من ليلى التي جلست ترقب الأفق وتحدق في الموج، بادرتها بعد أن جلست إلى جوارها:
- أنت صديقة القائد أمين؟
- بل ابنة عمته.
- لمحت في عيني الفتاة ذات العشرين ربيعا، فأدركت أن لأمين معجبة خفية[3].

---

1 المصدر نفسه، ص158.

2 المصدر نفسه، ص102.

3 المصدر نفسه، ص171.

كانت نسرين يجول في بالها الفضول حول ليلى والتعرف إليها، ويظهر ذلك في أسألتها لليلى:

- لقد عرفت أنك عدت إلى تونس منذ فترة بسيطة، كيف وجدتها؟[1].

لقد كان أمين يريد أن يتقدم لها بعد أن التحق بالجيش، لكن استشهاده حال دون ذلك.

- هناك فتاة أفكر في خطبتها.
- تعرفينها، نسرين من فرقة الكشافة[2].

وبعد استشهاد أمين، عملت نسرين على تكريس فكرة إقامة مبادرة لتخليد ذكرى أمين لدى فوج الكشافة.

- نريد في فوج الكشافة أن نفعل شيئا من أجل أمين، حتى لا يُمحى أثره، جمعنا الصور التي احتفظ بها كلّ منا من الرحلات والأنشطة التي شارك بها[3].

فكانت نسرين وليلى بينهما صداقة عادية تربطهم صداقة عمل فقط.

3- سوسن:

الصديقة التي تعرفت عليها ليلى في رحلتها إلى ألمانيا، وهي باحثة مصرية في بداية الثلاثينات لا يظنها الرائي قد تجاوزت الخامسة والعشرين، رشيقة وقصيرة القامة، وترتدي ملابس رياضية عملية طول الوقت، وهي شخصية مرحة، وكانت تلازم ليلى معظم الوقت منذ وصولها إلى هامبورغ، وقد رسمت سوسن لليلى صورة مشرفها على رسالتها في المركز البحثي، البروفيسور باورمان.

- البروفيسور باورمان لا يشرف على الإناث عادة.
- كما أن انضمامك في مصل هذا الوقت من السنة أمر غير مألوف، أنت الوحيدة في البرنامج التي حصلت على دعوة اسميَّة للمشاركة.

---

1 المصدر نفسه، ص173.

2 المصدر نفسه، ص395.

3 المصدر نفسه، ص419.

- هذا لا يمنع أنك وصلت في الوقت المناسب، سيبدأ الثلج في التساقط، والمركز ينظم رحلة تزلج الشهر المقبل[1].

كانت سوسن ذو شخصية قيادية وقد تزعمت الشلة الشبابية في المركز، وقد التحقت ليلى إلى الشلة في الفريق، وكانت كثيرا ما تُرى في الممرات متبوعة بليلى ونزار الشاب السوري، يتناولون وجبة الغداء معا ويثرثرون في الاستراحات بلهجات عربية هجينة[2].

ومما يدل على شخصية ليلى المرحة، سؤالها عن علاقتها مع البروفيسور بعد أن اتفق البروفيسور مع ليلى عن عقد تجربة اجتماعية، استقبلتها سوسن بابتسامة ذات معنى :

- كيف كانت القهوة مع البروفيسور باورمان؟
- قولي ما الذي تخفينه بالضبط؟
- انتظري حتى يصل الخبر إلى صديقة البروفيسور[3].

كانت سوسن رفيقة ليلى في جل وقتها بالمركز، وأيضا كانت رفيقتها في رحلة التزلج وكانت تجلس بجوارها بالحافلة، وكانت تتحدث بحماس عن تجربتها الأولى للتزلج[4]، وخلال الرحلة بدى الخوف والقلق على سوسن بعد وقت ليلى مريضة، وقد اعتنت بها طيلة وقت مرضها خلال الرحلة.

- لقد تلقيت أمرًا من البروفيسور باورمان بأن أكون ممرضتك الخاصة![5].
- أنت هنا؟ لقد فزعت حين أفقت ولم أجدك في سريرك[6].

---

1 المصدر نفسه، ص321.

2 المصدر نفسه، ص323.

3 المصدر نفسه، ص328.

4 المصدر نفسه، ص329.

5 المصدر نفسه، ص344.

6 المصدر نفسه، ص357.

المطلب الثالث: المرأة والعمل

أفسح الإسلام للمرأة مجال العمل وأتاح لها المشاركة في البناء، فهو لا ينكر عليها أن تمتهن من الأعمال ما يحقق لها مقاصد معينة، من غير تفريط يجمد الطاقات، ولا إفراط يبعثر الجهود بغير هدف، فلا يحرج على المرأة أن تبيع وتشتري، أو تكون طبيبة أو مدرسة، أو مربية أو نحو ذلك.

وقد شهد المجتمع الإسلامي في الماضي مسلمات امتهنَّ مهنًا متعددة كالتجارة والغزل، والنسيج، وصنع الطعام لبيعه أو إنفاقه[1].

فالمرأة في اندفاعها إلى العمل تريد أن تثبت لنفسها والمجتمع أنها كفؤ، وقادرة على القيام بدور إيجابي فعال، بدلا من دورها الأنثوي المحصور داخل جدران المنزل، نعلل الصورة اشتغال أو تطوع إنما ينطوي على حاجة ماسة لتغيير الصورة التقليدية عنها، فالمرأة قد أقدمت على مشاركة الرجل في الحياة العملية، وبهذا تستطيع أن تؤكد إحساسها بذاتها، وتعرض مشاعر النقص عن طريق ممارسة النشاط الذي يقوم به الرجل[2].

إن عمل المرأة يوفر لها نوعا من الحرية الشخصية؛ لأن اعتمادها على الرجل يجعل موقفها ضعيفا، فتكون تابعة له فلا تستطيع مخالفته أو الخروج عن سلطته لأنه هو الذي يعمل على استمرار حياتها وحياة أطفالها، إن أشد ما يذعر المجتمع الذكوري أن تثبت المرأة تفوقها في التعليم والعمل في المجالات العملية والفكرية[3].

---

1 أعمال المرأة الكسبية وأحكامها في الفقه الإسلامي، د. عيسى صالح العمري، قسم الفقه وأصوله، كلية الشريعة والقانون، جامعة إربد الأهلية، الأردن، 2005م، ص9.

2 صورة المرأة في روايات إحسان عبد القدوس، محمد مسياعي، دار القصبة للنشر، الجزائر، طبعة عام 2000م، ص106.

3 الأنثى هي الأصل، نوال السعداوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، من منشورات وتوزيع المكتبة العالمية، القاهرة، دون طبعة، ص161-162.

وفي الآونة الأخيرة، ارتفعت نسبة النساء العاملات في المجتمع التونسي، ونجد العديد من أطياف المجتمع يفضلون المرأة العاملة، لأهمية عملها في دعم الأسرة اقتصاديا، وزيادة خبرتها الحياتية ووعيها في التعامل مع متطلبات الحياة ومشاكلها، ومن هذا المنطلق نجد من الروائيات التونسيات من تحدثن عن العمل وأعطين نماذج للمرأة العاملة، المعلمة منها والصحفية، فمثلا في روايات خولة حمدي نجد أغلب البطلات يمتهن المحاماة والصحافة، ففي رواية غربة الياسمين نجد رنيم هي محامية ذهبت إلى فرنسا بحثا عن العمل والحرية وإثبات الذات، والبطلة "ياسمين" بعد معاناة وتعب في البحث عن عمل نجحت في الحصول على عمل في شركة فرنسية، وبطلة رواية "نخب الحياة " سوسن التي بدأت العمل في المركز الثقافي في مدينة تونس.

ومن خلال تصفح رواية أين المفر نجد نماذج متعددة للمرأة العاملة، ويتجسد ذلك فيما يلي:

1- السيدة الكبيرة (الجدة):

كانت معروفة بالعمل الخيري، فهي التي افتتحت الدار القرآنية (المدرسة القرآنية أبو بكر الصديق)، فكانت المفاجأة أن جدتها هي صاحبة المدرسة[1]، وأيضا صاحبة جمعية خيرية لمساعدة المحتاجين واللاجئين الذين يتدفقون من الأراضي الليبية باستمرار.

2- البطلة ليلى:

ليلى خريجة كلية الصحافة بجينيف في سويسرا كانت تتمنى العمل في سلك الإعلام، وقد كانت بداية عملها في الجمعية الخيرية التي كانت جدتها تترأسها بناء على طلب الجدة منها،

- ستأتين إلى هنا كل يوم، لمدة ساعتين فقط، تراجعين دفاتر التبرعات وتدققين في الحسابات.

1 أين المفر، المصدر السابق، ص48.

- هيا باشري العمل![1].
- كان تواجدها في قلب المؤسسة التي تمسك بكل الخيوط وتنظم تعاطي بعضها مع بعض مثيرا، كانت معاملاتها في البداية تقتصر على الملفات[2].

كانت ليلى قد اتصلت ببعض المكاتب في الأسابيع الماضية، وقد قصدت مقر جريدة في وسط البلد، حيث تنتظرها مقابلة عمل أولى[3]، لتجد وظيفة لها في مجالها:

- لقد وجدت وظيفة في جريدة أسبوعية[4].

كان الجانب الثوري من شخصية ليلى قد ظهر في وقت من الأوقات، مما دعاها للالتحاق مع ثلة من الصحفيين والمحامين الشبان المنخرطين في (الرابطة التونسية لحقوق الإنسان)، تتابع قضية المعتصمين ضد الحكومة[5].

ثم بعد ذلك وصلتها دعوة من ألمانيا من مركز بحثي للالتحاق به لمدة ستة أشهر في دراسة بحثية:

- أبي لقد وصلتني اليوم دعوة من مركز أبحاث ألماني؛ لأشارك في بحث أكاديمي لمدة ستة أشهر، إنه عن مستقبل الثورات العربية وتأثير بعضها على بعض[6].

وبعد نهاية فترة عملها في ألمانيا عرض عليها مشرفها البروفيسور باورمان وظيفة عمل بالمركز إن كانت ترغب بذلك.

- إن كنت ترغبين، فهناك وظيفة شاغرة بالمركز تناسب اهتماماتك البحثية، سيكون من دواعي سروري أن أواصل العمل معك[7].

---

1 المصدر نفسه، ص96.

2 المصدر نفسه، ص142.

3 المصدر نفسه، ص157.

4 المصدر نفسه، ص274.

5 المصدر نفسه، ص281.

6 المصدر نفسه، ص291.

7 المصدر نفسه، ص388.

3- المعلمة وداد:

معلمة شابة في مثل سن ليلى تقريبا وكانت تعمل في المدرسة القرآنية أبو بكر الصديق، والتي كانت تعلم الأطفال القاعدة النورانية، وقد ساعدت ليلى في تعلم القاعدة النورانية واللغة العربية بسرعة لأنها خصصت لها حصص وحدها.

- اقتربت منها المدرّسة وصافحتها في ودّ: أنا وداد.. كيف كانت حصتك الأولى؟
- يمكنني تخصيص حصة لك وحدك، في موعد آخر، إن كان ذلك يناسبك!.[1]

4- سميرة:

موظفة في المؤسسة الخيرية التي كانت الجدة تترأسها، وكانت تساعد ليلى في عملها، والتي أوكلت الجدة لها مساعدة ليلى في العمل.

- سميرة هنا سترشدك إلى كلّ ما تحتاجينه[2].
- اقتربت سميرة وأخذت تشرح: هذه قائمة التبرعات العينية الدورية التي تصلنا من المصانع والشركات، وهذه قائمة التبرعات المالية التي تصل في شكل تحويلات دورية أيضا، سيكون من السهل الشروع في تدقيق هذه الملفات، ومقارنتها بالملف الرقمي على الجهاز[3].

ومن الواضح أن الكفاءة والقدرة العلمية لها دور في سهولة إيجاد العمل، وعليه نجد الروائية مشيدة بهذه الكفاءات العربية والمسلمة ذات الشخصيات القوية التي دافعت على إثبات نفسها من خلال العمل سواء كان صحافة او مُعلمة أو أي مجال، فصورت الروائية العاملات في أحسن صورة بأنهن قويات وناجحات ومستقلات وعملهن كان شريفا.

---

1 المصدر نفسه، ص47.

2 المصدر نفسه، ص96

3 المصدر نفسه، ص97.

الفصل الثاني:

صورة المرأة التونسية في الثقافة والدين

1- **المطلب الأول:** المرأة والتعليم

2- **المطلب الثاني:** المرأة والدين

3- **المطلب الثالث:** المرأة والثورة

المطلب الأول: المرأة والتعليم

تعد المرأة في وقتنا الحالي أحد أهم الأطراف الفاعلة في تحقيق التنمية بمختلف جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، ولا يمكن أن ننكر الدور الجلي الذي لعبته في ذلك عن طريق إحداث التغير في شتى المجالات بدءً من داخل أسرتها، ومساهمتها في عملية التنشئة الاجتماعية مرورا لمكان عملها، وقد أثبت التاريخ ذلك عبر العصور المختلفة، فكانت المرأة أم وأخت ومربية وقائدة، إلى أن تقلدت أعلى المناصب في الدولة، فلم تبقى وظيفتها تقتصر على الإنجاب والتربية فقط؛ بل أصبحت تتعداها إلى أكثر من ذلك عن طريق مشاركتها في تنمية المجتمع ككل[1].

يعد التعليم الخطوة الأولى عن طريق التحرر الفكري والثقافي للإنسان عمومًا وللمرأة خصوصًا باعتبارها المربية الأولى في الأسرة، فإن تعليم كل من الإناث والذكور ينعكس إيجابًا على زيادة فرصهم وتوسيع خياراتهم المستقبلية، ومع ذلك يمكن القول بأن تعليم الإناث له نكهة تنموية بمذاق خاص كونه يحقق مكاسب إضافية لابد أنها ستلقي بظلالها على التمكين الذاتي للمرأة والأسرة كما المجتمع[2]، ومن هنا يتضح أن المرأة المتعلمة تغرس الأفكار والقيم النبيلة ضمن أسرتها و تساعد في التقدم والتطور.

1 سيسيولوجيا المرأة المثقفة –دراسة نظرية تحليلية–، خديجة بن جمعة وحفصة جرادي، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الأغواط، المجلد 16، العدد01، مارس 2022م، ص883.

2 المرأة والتعليم، اعتدال الحريري وفداء البرغوثي، الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، وزارة التربية والتعليم العالي، رام الله، فلسطين، 2010م، ص2.

ومن خلال الاطلاع على رواية أين المفر نجد عدة نماذج للمرأة المثقفة، وهي كالتالي:

1- ليلى:

كانت ليلى شخصية متعلمة ومثقفة، فهي أنهت دراستها الجامعية في سويسرا في كلية الصحافة والإعلام[1]، وأنا تركت دراسة القانون الذي قطعت فيه شوطا كبيرة قبل حادثتها[2]، وعندما اجتمعت مع الجدة أحضرتها للجمعية لكي تتعلم القاعدة النورانية.

- هكذا وجدت نفسها تدخل قاعة الدرس، مع مجموعة من الأطفال، تتراوح أعمارهم بين الخامسة والسابعة، وقفت عند الباب في ارتباك، ابتسمت المدرّسة الشابة وهي تدعوها إلى أخذ مقعدها في نهاية القاعة[3].

وبعد تخرجها من الدورة مع المعلمة وداد، كانت ما تطمح إليه الآن هو إتقان علوم النحو والصرف، وهذا لم يكن في نطاق اختصاص وداد[4].

وأثناء عملها في الصحيفة كانت قد أعدت تحقيق يحمل عنوان: حقوق الإنسان في سجون تونس ما بعد الثورة، وكانت قد أعدته لفائدة رابطة حقوق الإنسان، وإلهامها الأساسي تجربة والدها[5].

ومما يدل على حبها وسعة اطلاعها على اللغات الأجنبية هو تعلمها الألمانية منذ صغرها، وهو ما كان من قول والدها:

- لقد كانت لغتك المفضلة في المدرسة الثانوية، وقد سافرت إلى زيوريخ في رحلة لغوية مدة شهرين، وتعلقت بمؤلفات جوته ونيتشه في وقت مبكر[6].

---

1 أين المفر، المصدر سابق، ص69

2 المصدر نفسه، ص149.

3 المصدر نفسه، ص46.

4 المصدر نفسه، ص139.

5 المصدر نفسه، ص288.

6 المصدر نفسه، ص290.

صورتها الروائية بأنها شخصية مثقفة وذكية وصاحبة شخصية قوية كما أنها من هواة المطالعة وشغوفة وعاشقة للقراءة والتعلم.

2- المعلمة وداد:

كانت وداد معلمة الأطفال في القاعدة النورانية في المدرسة القرآنية، وكانت أيضا تعلم ليلى أيضا وتساعدها في اللغة العربية.

- كانت أصوات الأطفال تعلو على صوت ليلى الخجول المتردد، فترمقها المدرّسة بابتسامة مشجّعة، وقالت لليلى: يمكنني تخصيص حصة لك وحدك في موعد آخر[1].

قدمت الروائية من خلال هذه الصورة مجموعة من النماذج للمرأة المثقفة، فهي كنز ثمين تنفع نفسها وتساعد في بناء مجتمعها.

1 المصدر نفسه، ص46-47.

المطلب الثاني: المرأة والدين

المرأة سلاح ذو حدين، قد تستعمل للنصر، وقد تستعمل للهزيمة، وإذا استعملت للنصر نصرت، وإذا استعملت للهزيمة هزمت، ولذلك كان أعداء الإسلام أكثر خبثا في حربهم للإسلام والمسلمين، إذ تفرسوا في أسباب قوة الإسلام والمسلمين، ثم نظروا إلى المرأة، وعلموا أن المرأة من أعظم أسباب قوة المجتمع الإسلامي، وكان لها النصيب الأكبر من حجم مؤامراتهم على الإسلام، إن أخلاق الملتزم وسلوكه القويم سبيل لنصر الدين وإقامة صرح الشريعة، وأسباب نجاح الملتزم في مهمته، الناس لا ينقصهم المتكلمون ولا الخطباء والمتحدثون، إن الناس بحاجة إلى القدوة إلى الأنموذج العملي لمبادئ الإسلام، الناس بحاجة إلى المثال الحي لتطبيق الشريعة، فإذا وجد الرجل الملتزم حقا فإذا إذا رُئي ذكر الله، ووجدت الأخت الملتزمة التي إذا رُئيت أثني على الإسلام، إذا وجد هذا فسيكون المجتمع مجتمع بركة إن شاء الله[1].

ومن خلال الاطلاع على رواية أين المفر نجد عدة نماذج للمرأة الملتزمة، وهي كالتالي:

1- **الجدة:**

كانت الجدة شخصية ملتزمة، قد زارت بيت الله الحرام، وتؤمن بالمذهب الصوفي كما يظهر ذلك في ثنيات الرواية، والجدة صاحبة مدرسة قرآنية تسمى (المدرسة القرآنية أبو بكر الصديق)[2].

ومن خوفها على ليلى حتى لا يكون مصيرها مثل مصير أمها وأختها، فقد أخبرتها أنها سوف تأخذها إلى شيخ للرقية، وفوق هذا قد أعطتها الحجاب لتستر نفسها.

---

1 صفات المسلمة الملتزمة، محمد بن حسين يعقوب، مكتبة سوق الآخرة، الجيزة، الطبعة الثانية، 1418هـ-1997م، ص6-10، بتصرف يسير.

2 أين المفر، المصدر سابق، ص45.

- سنذهب إلى الشيخ هذا المساء لنرقيك، ثم أخرجت من طيات ثيابها قطعة قماش مربعة مخيطة بإحكام، وقال وهي تدسّها في كف ليلى: خذي هذا حرز للحماية، حصلت عليه هذا الصباح من المعالج[1].

كانت الجدة من الأشخاص الذين يحضرون دائما الحضرات في الزوايا التي تنتمي للفكر الصوفي، وتدخل في جو النشيد الذي كانت ليلى لا تفهم منه شيئا.

- ارتفعت جوقة المدائح المحمدية، وأخذ الكل يهتز إلى الأمام والوراء، أو يمنة ويسرة في انسجام مع النغمة، تتحرك الأجساد شبه مخدرة، وتهمهم الشفاه بالكلمات التي لا تفقه ليلى منها شيئا، ثم يتحول النشيد إلى آهات متقطعة. آه، آه، آه، التفت ليلى لتجد جدتها، الحاجة الوقورة قد أخذت تترنح مغمضة العينين وتتأوه مثل الآخرين[2].

كانت الجدة منغمسة في هذا الفكر، الذي كانت ليلى تكتم ضحكاتها مما رأته من ترنح وتأوه، إلا أن الجدة كانت تتضرع للشيخ حتى يرقي ليلى.

- لقد حققن ما يصبوا إليه كل مريد في الطريقة الصوفية، وفتحت لهن طاقة من طاقات السماء، ليقتربن أكثر من درجات الوجد العليا[3].
- حين جاء دور جدتها، رأتها تنحني في تضرع وتهمس راجية: يا شيخي، هلا رقيت حفيدتي المتبقية ليبتعد عن طريقها النحس والبلاء[4].
- انحنت الجدة فقبَّلت كفه ولكزت ليلى لتقوم بالمثل، لكنها تسمرت مكانها في بلادة، حتى أشار الشيخ بالانصراف[5].

---

1 المصدر نفسه، ص83.

2 المصدر نفسه، ص86.

3 المصدر نفسه، ص89.

4 المصدر نفسه، ص88.

5 المصدر نفسه، ص89.

2- **المعلمة وداد:**

كانت وداد في مثل سن ليلى، وربما تصغرها بسنة أو اثنتين، تضع حجابًا عنابيًّا وتلبس جلبابا بسيطا من درجة اللون نفسه[1].

وأما عن عقيدتها فهي تخالف الجدة في عقيدتها باتباعها للمذهب الصوفي، وذلك يظهر عند غضبها عندما أخبرتها ليلى أنها ذهبت لزيارة الولي الصالح.

- حكت ذلك اليوم لمدرّستها عن زيارتها لمقام الولي الصالح، وعن قرص المدائح الذي أهدته إياه الجدة، فامتقع وجه وداد، قالت في حرج: لا شك أن نية الحاجة فريدة سليمة، لكنني لا أنصحك بالعودة إلى هناك، التوسل بالأولياء شرك بالله[2].

3- **ليلى:**

كانت ليلى من خلال الرواية ذات مواقف متعددة من بين تبرج والتزام، فكانت في بدايتها متبرجة، ويظهر ذلك في وصف الكاتبة لها خلال زيارتها للمدرسة القرآنية:

- كانت نظراتها تقع على سيدات وفتيات يرتدين الجلابيب المحتشمة ويلففن رؤوسهن في أوشحة صارمة، كان شعرها الكستنائي المرفوع نشازا في المشهد[3].

وفي خضم حربها مع نفسها التي كانت تعتقد أنها حنان أختها وليس ليلى بسبب تضارب ذاكرتها، وأنها على ما ظهر في ذاكرتها هي التي تسببت بالحادث الذي توفيت فيه أختها حنان، وعندما خرجت من عند زيارة والدها بالسجن وجدت نفسها في مسجد وكان وقتها خاليا من المصلين، فأخذت تناجي الله سبحانه، وكانت لحظة فارقة في حياتها فقد ارتدت الحجاب يومها، ومن مناجاتها لربها:

- يا الله، لقد جئت إليك، لأنني لا أعرف أحد!!ا غيرك بيده أن يحلّ أزمتي.
- يا الله، لقد سُدَّت الأبواب في وجهي، ولا مهرب إلا إليك.

---

1 المصدر نفسه، ص47.

2 المصدر نفسه، ص138.

3 المصدر نفسه، ص45.

- يا الله، لقد ظلمت نفسي، وأسرفت في الظلم، لم أقدّر حياتي حق قدرها، ولا توانيت عن إلحاق الضرر بالآخرين، حتى ذهبت شقيقتي ضحية جنوني.
- يا الله، ما أنا فاعلة الآن، أسألك أن ترشدني إلى ما ينبغي عليَّ القيام به[1].

وبعد مضي وقت على جلوسها وأدائها لصلاة الظهر في المسجد، ارتدت عباءة ووشاحا، كانا متاحين على شمَّاعة في المدخل، حين قضيت الصلاة، وحينما خرجت أدركت أنها نسيت عليها الوشاح والعباءة:

- قلبت نظراتها في حيرة، كان عليها أن تعود أدراجها، وتعيد ما استعارته من المسجد، لكن قلبها انقبض لذلك الخاطر، كأن الراحة التي عرفتها في بيت الله ستختفي، إن هي تجرّدت من ثياب الحشمة تلك، كأن سرها الدفين سينفضح لو أنها نزعت عنها الستر، شعرت بصوت داخلها يقول زاجرا لقد سترك الله فاستري نفسك.
- تناولت هاتفها واتصلت بوداد، كانت تشعر بالخجل، لكنها لم تعرف غيرها يمكنه أن يتفهّم ما تعيشه في تلك اللحظة، حضرت وداد على جناح السرعة بعد تلقيها الاتصال الغريب، مصحوبا بطلب أغرب، كان بيدها كيس يحتوي عباءة ووشاحا، رافقتها حتى المسجد حيث أعادت الثوب الذي كان عليها وارتدت ما أحضرته وداد، ثم خرجتا معا[2].

لقد كانت العباءة والوشاح مجرد حاجة انتابتها فجأة أن تكون إلى الله أقرب، أن تحتفظ بلباس الصلاة الذي يوحي إليها بقربها منه، كأنها في صلاة لا تنقطع، كأنها ستشعر بحضوره داخلها وحولها طالما تشبّثت بالعباءة[3].

ومن هنا يمكن القول أن خولة حمدي استطاعت أن تجسد لنا صورة المرأة التونسية أيقونة الالتزام بالمبادئ في وقت يصبح التمسك بالمبادئ كالقبض على الجمر.

---

1 المصدر نفسه، ص202.

2 المصدر نفسه، ص202-203.

3 المصدر نفسه، ص204.

المطلب الثالث: المرأة والثورة

تعتبر المرأة التونسية شريكًا فاعلًا وعاملًا أساسيًّا في نجاح الثورة التونسية والإطاحة بالنظام الفاسد، فتيات وشابات، طالبات وعاطلات عن العمل كنَّ في مواجهة أعوان الأمن يستنشقون القنابل المسيلة للدموع ويلتقين ضرب الرصاص دفاعًا عن الكرامة والحرية، لقد كانت المرأة على امتداد أيام الثورة عامل تحفيز نفسي وهي القوة المعنوية التي لولاها لما نجح الشباب في تجاوز عتبة الخوف والوقوف في وجه النظام الجائر،

منجي الخضراوي نقابي تونسي يؤمن بأن المرأة هي "الضمانة الوحيدة التي قادت نجاح الثورة التونسية " ويقول:" أنه لولا المرأة لما نجحت الثورة التونسية"[1].

منذ الولادة، يضع المجتمع أغلب السيدات أمام خيارات محددة سلفاً وإطارات صُممت خصيصاً لتتلاءم مع ما يرتضيه، وهناك بعض النساء ممن يستسلمن لرغبة المجتمع وينصعن لأوامره ولكن هناك من يقاتلن ببسالة رافضين التأقلم مع تلك الخيارات المحددة، ولهذا يمكن القول أن هناك غريزة خفية في الكثير من النساء وهي غريزة النضال والمقاومة: بداية من مقاومة محيطها الداخلي وحتى الثورة على السلطات السياسية المستبدة[2].

1- **سحر:**

كانت سحر شخصية مناهضة للثورة وتدافع عنها، ويظهر ذلك جليا في حوارها مع ليلى عند سؤالها عن نجاح الثورة، ودفاعها عن الثورة أيضا.

- الثورة نجحت، لكن لا ينبغي للشعب أن يغفل لحظة واحدة، فتسرق منه ثورته، الشارع يقف بالمرصاد للحكومة الجديدة، إن تستجب للمطالب الشعبية وجب تغييرها.

---

1 مبروكة خضير، المرأة التونسية ودورها في إنجاح ثورة الياسمين، https://www.dw.com ،تاريخ الاطلاع: 12-03-2023م، 10:30 صباحا.

2 مقال بعنوان: المرأة والثورة: تاريخ طويل من النضالات الوطنية، أسماء رمضان، مدونة بوست، نشر بتاريخ: 08-03-2019م، تاريخ الاطلاع: 30-03-2023م، 11:30 مساء، https://www.noonpost.com/content/26866 .

- التظاهر ليس احتجاجا على إنجاز الحكومة، بل على كيفية تشكيلها، رئيس الحكومة وزير سابق من العهد البائد، وهذا لا يستجيب للمطالب الثورية، الثورة تعني تجديد الدماء السياسية وتمكين من يتحدثون باسم الشعب من الوصول إلى سدة الحكم[1].
- تتحدثين عن الثورة وكأنك تعرفين شيئا، أعلم ألا فارق بالنسبة إليك، ولأمثالك من الأثرياء، كنتم بخير في ظل النظام السابق، ومطالب الشعب المطحون لا تعنيكم[2].

2- **الجدة:**

كانت الجدة أحد أعضاء الكشاف التونسي في الخمسينات والستينات، كما تروي:

- لقد كانت أحلى الأيام، أيام كان الكشاف التونسي شخصا مسؤولا وفاعلا، له دوره في صناعة الرأي العام، والوقوف ضد قرارات المستعمر، لقد خرجنا بعد موجة الاعتقالات التي طالب الوطنيين التونسيين سنة 1952م وصرخنا رفضا للقمع والظلم، كنا أحرارا، ضمائرنا حرة، وإرادتنا حرة، ورغم إيقاف الجمعية حينها، ثبتنا على مواقفنا، ولم نرضخ حتى سمح لنا بالنشاط من جديد سنة 1954م[3].

3- **دليلات المخيم الكشفي:**

وهن الفتيات التي شاركن في مخيم الكشافة التي ذهبت إليه ليلى رفقة ابن خالها أمين، وهناك التقت بعدة فتيات يتشاركن الفكر الثوري، ومن مقولاتهن:

1- **لميس:** بعد الثورة تزايدت المنتديات الفكرية، وتوافد مفكرون ومثقفون من مختلف أنحاء العالم لزيارة البلاد، بعد أن كان النظام السابق يمنعهم، هذا ترف لم يكن متاحا منذ شهور قليلة.

2- **نسرين:** هذا أمر ضروري في هذه المرحلة، لرفع مستوى الوعي السياسي لدى الشباب.

---

1 أين المفر، المصدر السابق، ص101.

2 المصدر نفسه، ص102.

3 المصدر نفسه، ص163.

3- **ضحى:** نحن جيل صنع الثورة، لكننا جيل شديد الجهل بتاريخه وماضيه، معظمنا ما لم يكن له قريب معارض، راقب معه عن كثب معنى القمع والظلم، لا يعلم شيئا عن طبيعة الحياة السياسية في ظل حكم الفرد، لقد كبرنا ونحن لا نعرف إلا الاستسلام والخنوع، وتربينا على اللامبالاة والحياد، لكننا استمعنا إلى القصة كاملة خلال أيام الثورة التسعة والعشرين، بعد أن فاض الكيل استرجعنا الماضي واستعددنا لاستلام مقاليد الحاضر، لكنا عاجزون تمام عن تخيل المستقبل كيف يجب أن يكون[1].

4- ليلى:

بعد التحاق ليلى بالمخيم الكشفي وأدائها للقسم الذي اعتقدت أنها يجب الإيفاء به على قدر استطاعتها، ومن ذلك حينما دعتها الخادمة بهجة أن تخرج معهن في مسيرة تخرج من ساحة القصبة للوقوف بوجه النظام السابق الذي يحاول دخول البرلمان بأسماء جديدة:

- لقد اعترفت أنه مطلب ديمقراطي لا شائبة فيه، ويمكنها أن تتماشى معه لو أرادت،
- منال، هل تودين حضور مسيرة؟ سألتها منال مصعوقة! ماذا؟
- أوصلتها سيارة الأجرة إلى ساحة القصبة حين نزلتا، ألفتا الميدان غاصًّا بالخلق، وقد ارتفعت الهتافات الهائجة من الجهات الأربعة، كان من اليسير تمييز الشعارات الخاصة بمختلف الأحزاب السياسية على اللافتات المرفرفة، وقد تكتَّل مناصرو كل حزب في معزل عن الباقين، الساحة تجع الكل،
- حين تحركت المسيرة أخيرا، اندمجت الفرق المشتتة وانجرفت منال وليلى ضمن تيار المتظاهرين، لم يكن يعنيهما خلف أي فريق مشتا، ولا أي شعار رددتا، لقد كانتا هناك من أجل التجربة وحدها، وكانت البنتا تشعران بالإثارة، ضغطت منال على كف ليلى وهما تشاركان في الصراخ وتكرران الشعارات الرنانة مع الآخرين، كانت

1 المصدر نفسه، ص174-175.

عيونهما تتقد ببريق غريب وها تتبادلان ابتسامات متواطئة، لم تعرفا شيئا أكثر حماسة من هذا، أن تكونا جزءًا من كتلة أكبر، من حركة أقوى، أن تتقاسما شعارا وهتافا وقضية مع شعب بأسره[1].

- وصارت ليلى تتبع أخبار المسيرات، وتخرج في كثير منها خلسة أحيانا مع مدبرات المنزل، وأحيانا أخرى مع منال، وكثيرا بمفردها، تتوه وسط الجموع المستنفرة، تطلق صوتها منددة ومهددة، وترفع قبضتها في الهواء مع الرافعين، وكلما خرجت وصرخت شعرت بأنها تتفهم أمين أكثر وأكثر، وتضع نفسها مكان سحر وتستوعب موقفها، وفي كل مرة تدمع عيناها وتتعالى بداخلها حماسة مُسْكِرَة[2].

وفي نقاشها وعتابها مع أمين الذي بقي معتصما مع ثلة من الشباب في شارع الحبيب بورقيبة:

- تريد أن تخدم الثورة والوطن؟ اخدمها بنجاحك وسعيك، لا بالخمول والاتكال منذ سنتين، تقتات على المساعدات، مثل فقير معدم، ولا تقدم شيئا من أجل نجاح ثورتك[3].

الكاتبة تجسد لنا في هذا النص الروائي المرأة التونسية الثورية بصورة تحمل الكثير من القوة والنضال والكفاح، من أجل تغيير الحياة التي فرضت عليها من قبل النظام الفاسد.

---

1 المصدر نفسه، ص221-222.

2 المصدر نفسه، ص223-224.

3 المصدر نفسه، ص284.

خاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده سبحانه أولا وآخرا أن يسر لي إتمام هذا البحث الذي كان موسوما بـ" صورة المرأة التونسية في رواية أين المفر لخولة حمدي"، الذي كان موضوعا يسلط الضوء على المرأة بشكل كبير، ومن خلال اطلاعنا على هذا الموضوع فقد توصلنا إلى جملة من النتائج، أهمها:

1- يعتبر موضوع المرأة من أهم التيمات التي تناولتها الرواية التونسية.

2- اهتمت الرواية بالمرأة من الجوانب المختلفة السياسية الفكرية، النفسية، الاجتماعية، بطرق فنية راقية.

3- تتحدث الكاتبة في البداية عن الثورة التونسية، ثم بدأت الأحداث تمتزج بين مشاعر الحب والوطنية والثورية.

4- معظم شخصيات الرواية كانت من النساء، نظرا لمحاولة الروائية التركيز على أهميتها في المجتمع.

5- ركزت الرواية على شخصية ليلى البطلة في صورها المتعددة، من بين أخت وصديقة وعاملة ومتعلمة ومتبرجة إلى ملتزمة.

6- عملت على إبراز روح الثورة التونسية في نفوس الشباب التونسي.

7- لقد صورت لنا هذه الرواية نماذج حول المرأة باعتبارها الركيزة الأساسية في الحياة الإجتماعية بطبعها وعواطفها وتفكيرها في تحقيق ذاتها وهذا راجع إلى العلاقات الأسرية.

8- عمل المرأة قضية شغلت الرأي العام وخاصة أننا نعلم أن المرأة كانت مضطهدة سابقا، وهذا ما تطرقت له خولة حمدي في روايتها لتجسد صورة المرأة العاملة التي تمارس شتى الوظائف والتي أصبحت تنافس الرجل في العديد من المناصب.

9- قدمت لنا خولة حمدي صورة مغايرة للمرأة داخل المجتمع، فقد تعددت وتنوعت تلك الصور، نجحت بكونها امرأة، أم وزوجة وملتزمة وعاملة ومحجبة.. وغيرها، وأنها رمز للقوة والثبات.

وفي الختام، فإن دراستنا هذه لا تشتمل على دراسة كاملة ودقيقة لرواية "أين المفر"، فهي تحتاج إلى مزيد من الدراسة والوصف والتحليل من منظورات واعتبارات مختلفة، وهو ما يمكن أن يطلع عليه الدارسون في المجالات الأدبية المختلفة، ونسأل الله العلي العظيم أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

الملاحق



1-التعريف بالروائية خولة حمدي:

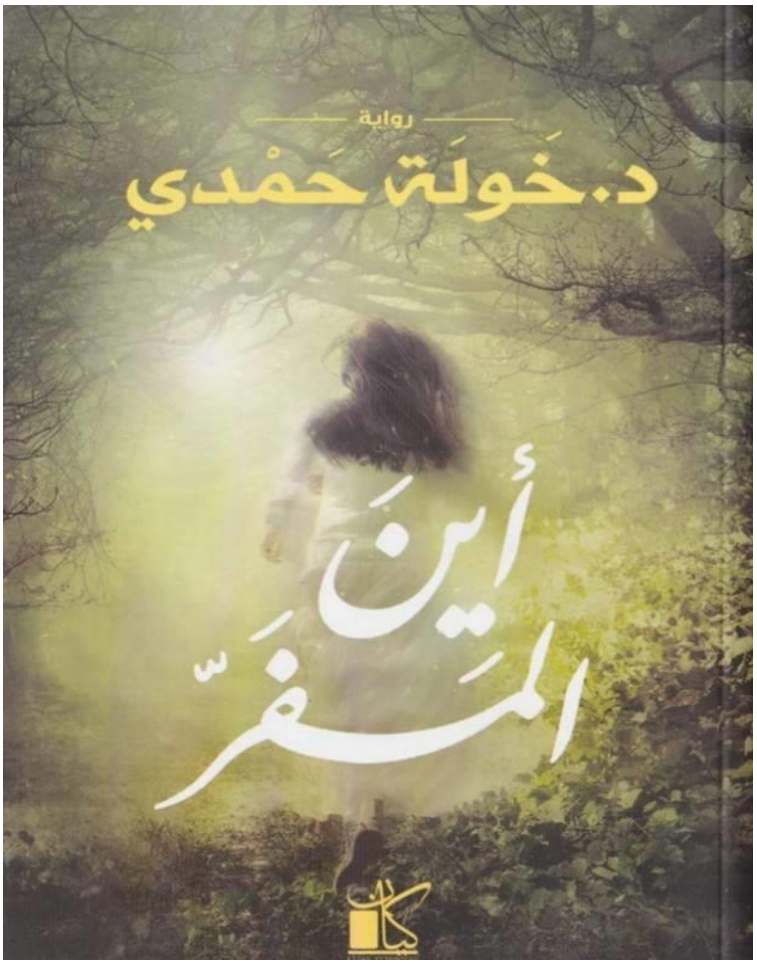
أ- حياتها:

خولة حمدي روائية شابة وباحثة وأستاذة جامعية في تقنية المعلومات بجامعة الملك سعود بالرياض ومهندسة تونسية، ولدت 12 من يوليو 1984م في مدينة تونس العاصمة، وحصلت على شهادة في الهندسة الصناعية والماجستير عام 2008م، من مدرسة (المناجم) في سانت إتيان وهي مدينة فرنسية، كما حصلت على الدكتوراه في بحوث العمليات من جامعة التكنولوجيا بمدينة تروا بفرنسا عام 2011م، حققت خولة حمدي نجاحات كبيرة في عالم كتابة الرواية الطويلة وهي في بدايات سن الثلاثينات من عمرها، واحتلت مكانة مرموقة بين الروائيين العرب؛ لاجتهادها وحسها الأدبي،

ومن هذه الروايات: في قلبي أنثى عبرية الصادرة عام 2012 وهي أولى رواياتها وقد تكون أشهرها، فقد نالت شهرة واسعة وكانت من أكثر الكتب مبيعا في مختلف دول الوطن العربي.

ب- أعمالها:

في قلبي انثى عبرية 2012م، غربة الياسمين 2015م، أن تبقى 2016م، أين المفر 2018م، وأريني أنظر إليك 2020م.



ملخص الرواية:

نعم رواية أين المفر من أشهر روايات الدكتورة خولة حمدي، ومن أشهر الروايات الأدبية الإسلامية والتي حظيت هذه الرواية بشعبية كبيرة بين الشباب والثقافة، فحققت الرواية أيضا مبيعات هائلة وأصبح الكتاب الأكثر مبيعا للمؤلفة، كان سبب اكتساب هذه الرواية الشعبية هو كيفية سرد الكاتبة الفريد والمميز وثراء المفردات وسهولة استخدام الكلمات،

تبدأ رواية أين المفر في مطار تونس قرطاج مع وصول رحلة 701 مارس 2011 القادمة من جنيف ومن عليها من ركاب، منهما السفير نجيب كامل وابنته ليلى بطلة الرواية اللذان سافرا منذ أعوام بعد انفصال الأب والأم، عاد نجيب مع ابنته ليلى بعد ثورة تونس التي اندلعت في ديسمبر 2010 وهو متطلع لمستقبل أفضل لتونس، لكن الأحداث لا تسير معهما كما كان مخطط لها، فور وصوله إلى المطار بتونس تم إيداعه السجن باعتباره واحد من رموز النظام الفاسد، تضطر ليلى أن تقضي أولى لياليها في وطن لا تعرف عنه شيء بمفردها في فندق، ثم تضطر للجوء لخالها رجل الأعمال الثري "نبيل القاسمي" التي لا تعرف غيره في ذلك الوطن، لتعيش في قصره معه ومع عائلته التي تتكون من أبنائه الثلاثة: ياسين، أمين، وفارس، وزوجة ابنه ياسين، ورغم عدم ارتياحها وسطهم بسبب انطباعها عن خالها وعائلته التي أخذته من حديث أبيها عنهم،

حاولت ليلى التأقلم على أوضاعها الجديدة وعلى خالها وأولاده وجدتها التي تحاول أن تخرج التونسية العربية من داخلها فتأخذها لحلقات ذكر وتصوف وتحاول أن تعلمها اللغة العربية وتشاركها في الأعمال الخيرية،

وسط محاولات ليلى للتأقلم والعمل في وطنها تصطدم بشك يقلب حياتها رأسا على عقب فتظل تبحث وراء ذلك الشك وفي نفس الوقت تبحث وراء حياة أختها الغامضة التي لم تتعرف عليها قط، وبعدها تتشابك الأحداث مع الأوضاع الإجتماعية والسياسية وفعاليات الثورة حيث تكشف ليلى ما خبأه عنها الجميع وأيضا تستغل وظيفتها كصحفية لتلبية مطالب المعتصمين والوقوف بجانبهم لإسقاط النظام الفاسد،

وفي النهاية أسدلت الكاتبة الستار على نهاية مفتوحة وهذا لا يبدوا مستغربا عن كتابتها، أين المفر هي رواية سياسية اجتماعية، تجمع بين الدراما، التشويق والرومانسية، وعلى الرغم من أحداث الرواية التي تجري في تونس يمكن لأي قارئ في أي بلد عربي أن يشعر أنها تحدث في بلاده لأن أحداث ما بعد الثورة هي نفسها في جميع الدول العربية.

قائمة المصادر

والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أولًا: المصادر

1-خولة حمدي، رواية أين المفر، إشراف محمد جميل صبري ونيفين التهامي، كيان للنشر والتوزيع، القاهرة.

ثانيًا: المراجع

2-أبو حيان التوحيدي، الصداقة والصديق، المطبعة النموذجية، القاهرة، 1972م.

3-أحمد شوقي، الشوقيات، قصيدة الجدة، دار العودة، بيروت، 1990م.

4-أرسطو طاليس، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ترجمة أحمد لطفي السيد، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1924م.

5-اعتدال الحريري وفداء البرغوثي، المرأة والتعليم، الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، وزارة التربية والتعليم العالي، رام الله، فلسطين، 2010م.

6-تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر، إعداد مجموعة من الباحثين، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، تونس، الطبعة الأولى، 1993م.

7-حافظ إبراهيم، ديوان حافظ إبراهيم، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، مصر، الطبعة الثالثة، 1987م.

8-خديجة بن جمعة وحفصة جرادي، سيسيولوجيا المرأة المثقفة -دراسة نظرية تحليلية-، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الأغواط، المجلد 16، العدد01.

9-زكي علي السيد أبو عضة، المرأة اليهودية والمسيحية في الإسلام، دار الوفاء، الطبعة الأولى، 2003م.

10- سامية بوعجاجة، الرواية التاريخية التونسية، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2019م.

11- سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود، دار الإيمان، الرباط، الطبعة الأولى، 1433هـ-2012م.

12- سمى سويدان، مدخل إلى قراءة روايات نجيب محفوظ، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد 66-67، مركز الاتحاد القومي، بيروت، 1989م.

13- صالح مفقودة، أبحاث في الرواية العربية، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة.

14- صحيح البخاري.

15- صحيح مسلم.

16- طه وادي، هيكل رائد الرواية السيرة والتراث، دار النشر للجامعات، القاهرة، الطبعة الثانية، 1996م.

17- عايدة مسعي ونسرين بوطرفة، من قضايا الروايا العربية الجديدة في النقد المعاصر، جامعة العربي التبسي، تبسة، 2022م.

18- عبد الحليم بن صالح، أصالة الرواية العربية المعاصرة عبر التراث والمعاصرة، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، 2017م.

19- محسن جاسم الموسوي، الرواية العربية النشأة والتحول، منشورات دار الآداب، بيروت، الطبعة الثانية، 1988م.

20- محمد الباردي، في نظرية العامة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 2002م.

21- محمد بن حسين يعقوب، صفات المسلمة الملتزمة، مكتبة سوق الآخرة، الجيزة، الطبعة الثانية، 1418هـ-1997م.

22- محمد مسياعي، صورة المرأة في روايات إحسان عبد القدوس، دار القصبة للنشر، الجزائر، طبعة عام 2000م.

23- مسند الإمام أحمد.

24- نوال السعداوي، الأنثى هي الأصل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، من منشورات وتوزيع المكتبة العالمية، القاهرة، دون طبعة.

ثالثًا: المعاجم

25- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ.

رابعًا: المواقع الالكترونية

26- أسماء رمضان، المرأة والثورة: تاريخ طويل من النضالات الوطنية، مدونة بوست، https://www.noonpost.com/content/26866 .

27- بوابة الأهرام، مكانة الأم في الإسلام قصص وأحاديث نبوية، https://gate.ahramw.org/eg.

28- تربية الفتاة في الإسلام، تيار الإصلاح، www.noslih.com ، كتب بتاريخ: 2020-02-25.

29- رويدة سالم، المرأة والتطرف الديني في العالم العربي، مقال علمي منشور على موقع weculture@almayadeen.net .

30- مبروكة خضير، المرأة التونسية ودورها في إنجاح ثورة الياسمين، https://www.dw.com.

31- منذر فؤاد، في ذكرى رحيل جدتي، مقال في صفحة قناة الجزيرة، كتب بتاريخ: 2018-07-26 https://www.aljazeera.net/blogs/2018/7/26/.

خامسًا: الرسائل الجامعية

32- عادل محمود أبو عشة، قضايا المرأة في الشعر العربي الحديث، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب، مصر، 1945م.

33- غدير رضوان طوطح، المرأة في روايات سحر خليفة، رسالة ماجستير، الدراسات الأدبية المعاصرة، إشراف محمود العطشان، كلية الآداب، جامعة بيروت، 2006م.

فهرس الموضوعات:

المحـــــــــــــــــــــتـــوى	الصفحة
مقدمه	أ-ج
المدخل: دراسة نظرية للموضوع	
1-المطلب الأول: مفهوم الرواية العربية	12
2-المطلب الثاني: مفهوم الرواية التونسية	13
3-المطلب الثالث: صورة المرأة في الروايات التونسية	18
4-المطلب الرابع: صورة المرأة في روايات خولة حمدي	22
الفصل الأول: صورة المرأة في المجتمع التونسي	
1-**المطلب الأول:** المرأة في النظام الأسري	25
أ- الأم	25
ب- الأخت	27
ت- الزوجة	31
ث- البنت	33
ج-الجدة	35
2-المطلب الثاني: المرأة والصداقة	38
أ- سحر	39
ب-نسرين	41
ت-سوسن	42
3-**المطلب الثالث:** المرأة والعمل	44
أ- السيدة الكبيرة (الجدة)	45
ب-البطلة ليلى	45
ت-المعلمة وداد	47
ث-سميرة	48
الفصل الثاني: صورة المرأة التونسية في الثقافة والدين	

1-المطلب الأول: المرأة والتعليم	49
أ- ليلى	50
ب- المعلمة وداد	51
2-**المطلب الثاني:** المرأة والدين	52
أ- الجدة	52
ب- المعلمة وداد	54
ت- ليلى	54
3-المطلب الثالث: المرأة والثورة	56
أ- سحر	56
ب- الجدة	56
ت- دليلات المخيم الكشفي	56
ث- ليلى	58
خاتمه	60
الملاحق	62
1-التعريف بالروائية خولة حمدي	63
2-ملخص الرواية	64
قائمة المصادر والمراجع	66
فهرس الموضوعات	71

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن صور المرأة المختلفة في المجتمع التونسي وقد اخترت رواية أين المفر؟ للدكتورة خولة حمدي أنموذجا، نوعت بين المرأة العاملة والمكافحة والأم والمتزوجة والصديقة وهي بذلك أبرزت لنا الحياة الاجتماعية في الوطن العربي خاصة تونس وحالة المرأة فيها وقسمت عملي الى مدخل وفصلين مدخل يشمل مفاهيم الرواية وصور المرأة على الروايات التونسية والفصل الأول والثاني يشملان دراسة تطبيقية استخرجت فيها صور المرأة التونسية في الرواية.

الكلمات المفتاحية: الصورة، المرأة التونسية، رواية أين المفر، خولة حمدي.

summary:

This study aims to reveal the different images of women in Tunisian society. I chose the novel Where is the Escape? Dr. Khawla Hamdi is a model, she diversified between the working woman, the struggling woman, the mother, the married woman, and the friend, and she thus showed us the social life in the Arab world, especially Tunisia, and the situation of women in it I divided my work into an introduction and two chapters An introduction that includes the concepts of the novel and the images of the woman on the Tunisian novels. The first and second chapters include an applied study in which the images of the Tunisian woman in the novel were extracted.

Key words: the image, the Tunisian woman, the novel Where is the Escape, Khawla Hamdi.